سردية لقمان
قراءة في البنية السردية للنص القرآني

محمد صالح ناجي عبده*

تاريخ تسلُّم البحث : 2019/3/10م تاريخ قبول النشر: 2019/10/27م

الملخص

تتناول هذه القراءة قصة لقمان كما سردها النص القرآني؛ وهي تستهدف رصد المكونات السردية داخل قصة لقمان، وتسعى إلى تحليل تلك المكونات في كل المستويات السردية التي نهضت عليها هذه القصة ، وتحاول أن تكشف وظائفها البنيوية، وأداءاتها الفنية ، وتحوز محصولاتها الدلالية والإيحائية ، وقد تمَّت المعالجة التحليلية من خلال معطيات المنهج البنيوي، ومنطلقات علم السرد الحديث.

الكلمات المفتاحية: القرآن – لقمان – السرد – البنيوية.

التراكيب المهمة: النص القرآني – قصة لقمان – المنهج البنيوي – علم السرد.

المقدمة:

يختص النص القرآني بفرادة لافتة ؛ وذلك في مستويات كثيرة، وقد حظي بمقاربات تندُّ عن الحصر؛ ومع وفرة المقاربات المختلفة لنصوصه؛ فإن عطاءه لا يتوقف ، ودلالاته غير مؤهلة للنفاد. وترمي هذه القراءة إلى تناول واحد من النصوص السردية في القرآن ؛ ويتمثل في قصة لقمان؛ وتهدف هذه القراءة إلى تحليل المكونات السردية التي تتشكَّل من خلالها هذه القصة.

وكانت هناك مجموعة من الدوافع لهذه القراءة؛ ولعل من أبرزها تحقُّق نوع من القناعة بأن التحليل من خلال المعطيات السردية يمكن أن يحقق نتائج مهمة في المشروع الدلالي والفني لهذا النص. وقد اعتمدت هذه القراءة على المنهج البنيوي؛ لأنه ربما كان من أنجح المناهج في تحليل البناء السردي؛ فله احتفاء لافت ببناء الأعمال الحكائية ووظائفها، وله جهاز نظري يكاد يكون وافيًا؛ إذ يضم عددًا من المداخل المحدَّدة والواضحة التي يتم من خلالها معالجة النصوص السردية. لكن المنهج البنيوي لا يخلو من إشكالات كثيرة؛ فمع أنه يحتفي بفاعلية بالمكونات الداخلية للنص؛ فإن التفاتاته إلى المحصول الدلالي والفني للمعطى السردي تَقَلُّ بصورة لافتة؛ وإن حدثت فإنها تجيء بلون من السرعة والاقتضاب. والنص القرآني يروم الدلالة بقوة، ويستهدفها بصورة فاعلة؛ ومن ثم فقد تمَّت الاستعانة ببعض آليات المنهج الأسلوبي، وبعض المعطيات السيميائية من أجل استيفاء المشروع الدلالي والإيحائي للمكونات السردية في هذه القصة؛ وهو مما أسهم في رصد المرامي الدلالية والفنية مع معظم الأداءات التعبيرية داخل البناء السردي بلون من الأريحية والامتداد.

ولهذا التعدُّد في المنهج مسوغاته العلمية؛ فمفهوم الخطاب يستوعب المعطى البنيوي، والمكوِّن البلاغي؛ فهو لا يخرج عن كونه ناتجًا قوليًّا مشفوعًا بمقام التواصل؛ إنه ملفوظ مرتبط بسياقه الخاص. وهذا التعدُّد في المنهج ليس سوى توسيع لمجال السرد؛ وهو لا يلغي المظهر البنيوي للسرد؛ ومن ثم فإن المنهج

* استاذ مساعد بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة إب..

البنيوي يظل مهيمنًا؛ فعنوان هذه القراءة يبوح بانتمائه إلى علم السرد، والمنهج البنيوي؛ وذلك من خلال الأداء اللغوي في السردية والبنية. وهذا الإعلان يهدف إلى إحداث مناورات عديدة؛ فمصطلح السرد يُعبِّر صراحة عن إحدى الصيغ الأساسية الكبرى للسرد، ويحيل بصورة ضمنية على الصيغة الأخرى؛ وهي صيغة العرض. كما تجلَّت مفاصل هذه القراءة بحسب المعطيات الإجرائية التي تمليها اشتراطات المنهج البنيوي، ويقوم عليها علم السرد؛ ومن ثم فقد تم تقسيم منجز هذه القراءة بحسب تلك الضوابط؛ فجاءت في مبحث تمهيدي، ومبحثين بعده؛ وقد سعى المبحث التمهيدي إلى رسم حدود النص وتضاريسه، وكشف عن أدوات الربط بين مفاصله. وتضمن المبحث الأول مكتوبين؛ إذ عالج الأول منهما بنية الحكاية من خلال قراءته لمفاصل هذه البنية؛ وهي المفاصل المتمثِّلة في فضاء السرد المتضمِّن للزمان والمكان، والكامنة في الأحداث والشخصيات. وناقش المكتوب الثاني بنية الخطاب؛ ومن ثم فقد تناول مكونات سردية مهمة؛ تمثلت في السرد والوصف والحوار.

أما المبحث الثاني؛ فقد احتوى على مكتوبين أيضًا؛ وقد احتفى الأول بالمكونات السردية لقصة الوصيِّة؛ وهي قصة متضمَّنة داخل النظام السردي لقصة لقمان، وقد تم تشكيلها من خلال تقنية القطع الحكائي. والتفت المكتوب الثاني إلى المكونات السردية لبنية الحمل والفصال؛ وهي أداء سردي متضمَّن داخل البناء السردي لقصة الوصية؛ وقد تم تشكيله بتقنية القطع الحكائي أيضًا. وتم اختتام القراءة بعرض سريع لنتائج هذه القراءة، ورصد الإنجاز الفني والدلالي للنص.

لا شك في أن النص السردي يقدم نفسه خطابًا؛ وهو مما يشي بأن بنية الحكاية، وبنية الخطاب متلاحمتان؛ لكنه قد تم الفصل بينهما هنا بصورة شكلية؛ لتتحدد مفاصل البحث، وليتم استيفاء مواطن البوح في النص، ولأنه يمثل الرؤية الأوسع والأشمل.[1] وهو إجراء مطروق؛ فقد تبنَّته دراسات عديدة.[2] وقد برز في البحث عدد من الوقفات التي تلتفت إلى ما هو خارج النص؛ وهذا ربما لا يتعارض مع رؤية المنهج البنيوي؛ فالنص يتعانق شكله ومضمونه، ويحيل على خارجه مرارًا؛ ولعل هذا مما جعل النقد البنيوي يرى ضرورة الانتفاع بالمناهج الأخرى؛ كالمنهج التاريخي، والمنهج التفسيري.[3]

وقد تعاملت هذه القراءة بأريحية مع بعض اشتراطات علم السرد؛ فهي في تناولها للموضوع لا تستنكف أن تستدعي مصطلح الحكي بدلالته العامة؛ وإن كان الموضوع محصورًا في السرد بوصف النص عملًا لغويًّا. وهذا التعامل كان بارزًا في استعمال لفظ الشخصيات؛ مع أن هوية السردية تستلزم استعمال لفظ الشخوص. والسبب في ذلك كله يرجع إلى أن المردودات البنيوية والدلالية والفنية لا ينالها ضرر بفعل ذلك. وربما كان التعامل الحرفي مع هذه المنطلقات السردية لا يحقق عائدات دلالية أو فنية مهمة. فضلًا عن أن هذه القراءة قد تضمنت إشارات كثيرة منحت هذه المنطلقات وجهتها الخاصة.

كما تعاملت هذه القراءة بنوع من الإيمان بوجود فوارق حقيقية بين الوظائف البنيوية، والمحصولات الدلالية والفنية للعمل السردي. وكانت مسكونة بهاجس المقارنة بين التقنيات السردية في هذا النص، وبين مثيلاتها في نصوص قرآنية أخرى. وقد تضمنت سردية لقمان مستويين سرديين؛ لكن معالجة المكونات السردية لهما جاءت في موضع واحد؛ لأنهما يتفقان في الشخصيات؛ فالراوي وشخصية لقمان؛ هي الشخصيات البارزة في المستويين؛ لكنهما شهدا تغيُّرًا

في موقع الراوي؛ ومن ثم فقد تم الفصل بينهما عند معالجة هذه القضية. كما أنه حدث لون من التحفظ في وسم بنية الحمل والفصال بالسردية؛ لأنها تخلو من إحدى الصيغ الأساسية الكبرى التي ينبغي أن تتوفر في السرد؛ وهي صيغة العرض.(4)

مبحث تمهيدي: البنية الكلية للنص.

لعله من المفيد في البدء أن يَحْدُث نوع من الانشغال البصري بالنص؛ ليتم الوعي بحدوده، والإلمام بتضاريسه الخاصة. ومن الممتع أن تتاح إمكانية لتقديم النص بحلَّته المائزة، ورسمه المثير الذي يفيض بالفرادة، ويبوح بالاختلاف، ويعلن عن قداسة مدهشة، وفخامة ليس لها مثيل. فهذا هو النص: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾

التفت القرآن إلى قصة لقمان مرة واحدة؛ وفي سورة تحمل اسمه ؛ وهي سورة مكية، وتشغل الرقم واحدًا وثلاثين في ترتيب سور المصحف الكريم ؛ وهي من السور المتوسطة من حيث الحجم؛ إذ تضم أربعًا وثلاثين من الآيات المتوسطة الحجم أيضًا. وتتشكل قصة لقمان في ثمان آيات منها؛ فتجيء من الآية الثانية عشرة، وتنتهي بنهاية الآية التاسعة عشرة. ولعل التناول القرآني المفرد لهذه القصة مما يوحي بمدى قيمة هذا التناول وفرادته، ويشي بأنه قد استوفى كل مظاهر الانتفاع التي يمكن تحصيلها من قصة لقمان. وربما استهدف هذا التناول الوحيد البوح بقيمة شخصية لقمان وأهميتها، والإيعاز بضرورة الالتفات إليها بلون من التوسُّع في الوثائق التاريخية. وقد عرض القرآن قصة لقمان بمعمار فني يعتمد على مفاصل واضحة؛ فقد بنى هذه القصة من خلال أربعة مفاصل تتمثل في الآتي:

1 - مهاد تعريفي بالشخصية؛ يستهدف الإعلان عن اسمها، ويشي بأنها شخصية محورية ، ويصور سماتها الذاتية، ويرصد موقفها التاريخي في الاستجابة لله؛ وهو مما جعلها تكافأ بمنح إلهي فريد؛ يتمثل في الحكمة، ونصيًّا تمثله الآية الثانية عشرة من سورة لقمان. وهو لون من السرد الأوَّلي؛ إذ يمهد للحظات سردية أخرى.(5)

2 - مشهد حواري يقوم بين لقمان وابنه؛ وهذا المفصل يمثل جوهر القصة؛ فقد سيقت القصة؛ لتبوح بمفردات الحوار ، وتقف عند مضامينه، كما تثبت تحقُّق الحكمة الممنوحة للقمان من خلال توجيهاته لولده. وهذا المفصل يستوعب معظم الوقفة الملتفتة إلى لقمان ، ويمثل أكبر مساحة بنائية في هذا النص؛ إذ يجيء في خمس آيات.

3 - وصية من الله للإنسان بوالديه؛ وقد تشكلت ضمن مفصل اعتراضي ، وبتقنية القطع الحكائي. وهذه الوصية تمثِّل قصة متضمَّنة؛ وقد تشكلت بمساحة ليست قليلة؛ فقد انتظمت في آيتين، ومثلتها

بنية لغوية تزيد مساحتها قليلًا عن نصف مساحة بنية الحوار بين لقمان وولده.

4 - مسرود الحمل والفصال؛ وهو مستوى سردي يتشكل بتقنية القطع الحكائي؛ ويجيء في نسق اعتراضي ضمن قصة الوصية؛ ويبرز في أدائية سردية سريعة ؛ إذ ينتظم في جملتين مكوَّنتين من ثمان كلمات.

ومع بروز هذه المفاصل في القصة فإنها تتجاور بصورة شديدة التلاحم ؛ إذ بدت وكأنها لوحة واحدة؛ ذات نسيج محكم، وألوان متناغمة ؛ وربما يرجع هذا التناغم إلى وفرة عناصر الربط ؛ إذ جاءت بصورة شديدة التنوُّع، فائقة الوضوح. وأدوات الربط منها ما يتمثل في الحروف ؛ إذ تهيمن حروف العطف بصورة فاعلة، وقد حقَّقت تعانقًا مثيرًا بين الألفاظ والتراكيب. كما أنها تصدَّرت مفاصل النص بصورة شديدة الوضوح، وهو مما مكَّنها من الربط بين مفاصل النص، وإحداث التلاحم بينها.

كما تمارس بعض الألفاظ وظيفة الربط بين أجزاء النص ؛ فاسم لقمان يتم الالتفات إليه بصورة مكرورة ؛ إذ يأتي في مطلع المهاد التعريفي ، وفي بداية الحكاية عنه؛ وهو مما يعمِّق الارتباط بين المهاد والحوارية ، ويوائم بينهما. كما تقوم بعض الأساليب بعملية الربط بين المحاور المتعدِّدة لهذا النص ؛ وهي تتمثل في البنية الأسلوبية للنهي والأمر، والشرط والنداء ؛ فالأمر والشرط يبرزان في المهاد التعريفي، وفي الوصية، وفي الحوارية. والنهي يجيء في المطلع الحكائي، وفي الوصية ، وفي الحوارية. أما البنية الأسلوبية للنداء في:" **يا بُنَيَّ**"؛ فتمثل رابطًا تركيبيًّا مهمًّا ؛ إذ تأتي في المطلع الحكائي ، وتتكرر في مفاصل الحوارية بصورة فاعلة؛ ومن ثم فقد أسهمت هذه الأداءات الأسلوبية في تمتين العلاقة بين مفاصل النص، وجانست بينها.

ومن أدوات الربط ما هو موضوعي كموضوع الشكر؛ إذ يجيء في المهاد التعريفي، وفي قصة الوصية. ومثله موضوع الكفران الظاهر في المهاد التعريفي، وفي حيثيات حوارية لقمان مع ولده. كما يتداخل مفصل الوصية مع مفصل الحوارية عن طريق تكنيك القطع الحكائي. وهناك مؤشر موضوعي فاعل للربط بين مفاصل هذا النص؛ ويتلخص في أن موضوع النهي عن الشرك جاء في مطلع حوار لقمان الموجَّه إلى ولده، في حين جاء موضوع الوصية بالوالدين في مفصل خاص بها تشكَّل بتكنيك القطع الحكائي. والقرآن عالج الموضوعين مرارًا، وهو في الغالب يربط بين الموضوعين بصورة حميمة؛ لا تتجاوز حدود الآية الواحدة.[6] وهذا يوحي بأن هناك حالة من الترابط الحميم، والتقارب الدافئ بين الموضوعين هنا؛ وهو تلاحم لا يكاد يخرج عن التقليد التعبيري الشائع في القرآن عن هذين الموضوعين.

وهناك ترابط بنائي بين الموضوعات ينبع من عمق فلسفة المنطق؛ وهو يبرز من خلال التعانق الحميم بين السبب والنتيجة؛ فحوارية لقمان تمثل مظهرًا من مظاهر الاستدلال على روعة الحكمة الممنوحة للقمان؛ إذ إن المنح الإلهي يجيء سببًا للوعظ الحكيم النافع، وقد تمَّ تقديم السبب على النتيجة بحسب قانون المنطق. في حين تجيء الجمل السردية في موضوع الحمل والفصال؛ لتقدم تعليلًا لحدث الوصية؛ فالرابط لا يزال يوظف المنطق، وفي عمق فلسفته؛ لكنه حدث لون من تبادل المواقع ؛ إذ تمَّ تقديم النتيجة على السبب ؛ وهذا لا يُفْسد فلسفة المنطق؛ وإنما يمثل إجراء فنيًّا؛ يفيض بالإمتاع والإثارة ؛ وذلك عن طريق كسر أفق التوقع ، وتحقيق دهشة الارتداد. وربما كشفت هذه المقاربة لاحقًا عن أدوات ربط أكثر من حيث الوفرة، والكثافة الدلالية والفنية.

المبحث الأول:

التشكيل الفني للمكونات السردية في قصة لقمان.

تستوفي قصة لقمان المكونات السردية بكفاءة عالية ، وتقوم على الاختزال والبساطة ، وهي تتكون من مستويين سرديين ، ويمكن التوقف عند هذه المكونات السردية لهذه القصة ؛ وتتلخص في الآتي:

المكتوب الأول: بنية الحكاية.

تتضمن بنية الحكاية مجموعة من المكونات السردية ؛ وهي ذات وجود حتمي بحسب ما يمليه ناموس الوجود، ومنطق الفن ؛ وهي ليست أدوات جاهزة ؛ وإنما يتم تشكيلها بحسب رؤية الكاتب ، وطبيعة الفن السردي ؛ وهذا ما يجعلها قابلة للقراءة ، ومؤهَّلة للبوح بمحصولات دلالية وفنية متباينة.

أولًا: فضاء السرد:

للسرد فضاءان هما: الزمان والمكان ؛ وهما من العناصر الأساسية في القص ، ولهما قيمة فاعلة في إبراز البناء الفني للعمل السردي ، ويمكن للكاتب أن يوظفهما في البوح بدلالات خاصة ؛ وفي تحديد ملامح الشخصيات والأحداث ، وهوية المنظور داخل البناء السردي.

أ – الزمان:

يمثل الزمن قيمة تجريدية يتم استيعابها بأنماط كثيرة من الوعي، والمهم هنا أن الزمن يمثل حيِّزًا منطقيًّا للأحداث والشخصيات؛ إذ لا يمكن تصور الأحداث والشخصيات خارج نطاقه؛ ومن ثم يسهم الزمن في تشكيل سمات مائزة للأحداث والشخصيات داخل السرد، كما أن الارتباط بين الزمن والأحداث يمنح الزمن قابلية للتحديد والقياس، ويجعله صالحًا لتوثيق الأحداث الفردية والجماعية. وللزمن قيمة حقيقية في السرد الأدبي؛ إذ يمثل قيمة للمتغيِّر، وله تجليات كثيرة في السرد، وحضور متعدد المواقع.[7] وفي إطار الحكاية تبرز سمة خارجية للزمن؛ فهناك زمن القص؛ وهو الزمن التاريخي للحكاية، وهناك زمن الكتابة؛ وهو يرتبط بصاحب النص، والظرف الثقافي المرافقة له، وهناك زمن القراءة؛ أو التلقي.[8] والأمر يستدعي رصد ما يستجيب له النص السردي القرآني هنا من أشكال هذا الزمن؛ وربما تحققت الاستجابة في الأشكال الآتية:

1 – زمن مجيء النص:

لعل النزول المُنَجَّم للقرآن يسهم في تحديد زمن تشكيل النصوص القرآنية؛ وذلك على أساس متانة التلاؤم بين النص القرآني، وواقع النزول؛ ومن ثم يمكن رصد مجيء النص في حيز زمني له معطياته التاريخية والاجتماعية والثقافية. وقصة لقمان تجيء في سورة مكية؛ والخطاب القرآني المكي له خصوصية في الموضوع أو الغرض، وله تميزه في المعطيات اللغوية، والأداءات الأسلوبية.[9] وقصة لقمان تجيء في واقع تهيمن عليه القناعة الجاهلية؛ ومن ثم تستهدف القصة إحداث تحولات في المعتقد والسلوك معًا، وتندغم مرامي القصة في هوية المشروع الإسلامي؛ إذ تستهدف القصة بناء الوعي الديني، وتحقيق مرادات الله في صناعة الاعتقاد السليم، والممارسة الصائبة. وهي تحقق ذلك من خلال سردية معينة؛ لها بناء فني له حظُّه من الخصوصية، وله تميُّزه من حيث الأداءات اللغوية، وله فرادته من حيث المفاهيم والدلالات التي يسعى إلى تقديمها؛ فالقصة تعتمد على لغة مألوفة غالبا؛ لكنها تتميز بدقة الانتقاء، وفرادة التركيب، وطرافة الموضوع؛ ومن ثم فهي تحمل ملامح تجديدية غير مسبوقة في الأداء؛ وهذا مما يمثل قيمة حقيقية في تطوير هذه المظاهر كلها. ولعل استعصاء النص القرآني على المحاكاة والتصنيف الإبداعي ناجم عن خروجه الفريد على

أنماط القول، وأجناس الكتابة. وربما كان وصفه بأنه حالة سحرية موحيًا بمدى قوة الفرادة، وطرافة التميز في مستوياته الإبداعية كلها.

2 – زمن المحتوى:

هذا الزمن يرتبط بقوة بأحداث القصة، ومن زوايا متباينة؛ وله أشكال متعددة؛ وهي:

أ – زمن أحداث القصة:

لا يتضمن النص أي إشارة إلى زمن القصة؛ وكل ما فيه أنه يرصد أحداثًا وشخصيات تنتمي إلى الزمن الماضي؛ فيكتفي بذكر لقمان، ويعلن عن التأهيل الإلهي الذي حدَث له، ويبوح بحالته الاجتماعية؛ فيذكر أبوته لابنه؛ ويركز على وعظيته له؛ لأنها تبوح بموقفه الآيديولوجي، ومشروعه الديني والثقافي. وهذا العزوف عن تحديد زمن القصة لا ينفي وجود الزمن الحقيقي لها؛ لأن القرآن في سروده كلها يتبنَّى قصصًا واقعيًّا؛ فلا يعتمد على القصص الخيالي، ولا الأساطير، ولا الخرافات؛ فقصصه له وجود تاريخي على وجه الحقيقة، والأحداث والشخصيات في سروده تشكلت بالفعل؛ فلها موقع من التاريخ على وجه اليقين. وفي الغالب يحدَّد هذا الزمن داخل النص السردي؛ لكنه في قصة لقمان يتم تحديده من خلال الوثائق التاريخية؛[10] فالمستند التاريخي يبوح بأن لقمان كان على أيام داوود؛ فالمسعودي يقرر أن ميلاد لقمان كان في عصر داوود، وينص على أنه ولد على عشر سنين من ملك داوود، وأنه عاش حتى أيام يونس بن متَّى؛ وهي زمنية موغلة في القدم، حتى إن المسعودي يؤرخ للقمان في باب المبدأ؛ أي ابتداء الخليقة.[11] وابن كثير يقول إن لقمان كان قاضيًا على أيام داوود.[12] ويبقى الوجود التاريخي للقمان مرتبطًا بزمنية تسبق أدوات الضبط التاريخي؛ وكثيرًا ما كان ذلك الضبط يعتمد على الأحداث والشخصيات، وله صيغ مفتوحة؛ مثل:" قبل"، و" بعد"، و" أثناء".

وربما كان المهم هنا هو أن هذا الزمن جاء ماضيًا؛ وهو مما يجعل قصة لقمان تمثل لونًا من السرد الذي تتحقق فيه السمة التاريخية والواقعية؛ **فالأولى** تشي بأن المشروع الإسلامي له بعد تاريخي؛ أي له مرجعيات، وله جذور موغلة في أعماق البشرية؛ وهذه مؤشرات المتانة والقوة. **والثانية** تشي بأنه يمكن أن ينفرد شخص بسمات نوعية مائزة في الوعي، وأن يمارس أشكالًا من النصح لولده؛ فهي أمور واردة؛ بل وقد تحْدث بصورة مكرورة ؛ وهذا مما يوعز بالقبول، ويغري به، ويوحي بإمكانية التحقُّق؛ وهو يمثل دعوة للاحتذاء.

كما أن إغفال قصة لقمان لهذا الزمن يمنح السرد ومضامينه سمة العموم؛ وربما كان هذا الإغفال مقصودًا؛ لأنه يجعل السرد مسكونًا بسمة الاستمرار، وهاجس الخلود؛ والنص القرآني نص خالد، ومشروعه يستهدف مرافقة البشرية حتى النهاية؛ ومن ثم فإغفال هذا الزمن يجعل القصة، ومراميها الدلالية والفنية تتسم بالتجدُّد، والحياة الدائمة.

كما أن الارتباط بين الأحداث والماضي لا يعني أن دلالات السرد محصورة على الواقع التي جرت فيه القصة؛ فالالتفات إلى الماضي يمثل تقنية فنية، تستهدف معالجة قضايا شاغلة للإنسان من لحظة التلقي الأولى إلى نهاية لحظة التلقي الافتراضي؛ فهي عملية توظيف للمعطيات التاريخية، والنص القرآني يعالج هذه القضايا في المادة والدلالة معًا؛ إذ يستهدف الامتداد الزمني لمشروعه السردي، وفي أبعاده الدلالية والإيحائية.

ب – الزمن القصصي:

تجيء قصة لقمان بنمط السرد القصصي القصير؛

فزمنها ضيق؛ لأنها تقوم على انتقاء اللحظة، والتصرف فيها؛ إذ تقتصر على سرد حادثين؛ فتبدأ بسرد حادث المنح، ثم حادث الوعظ، ثم تقدم مشهدًا حواريًّا يترجم مفردات الموعظة، وبه تُختتم القصة. وهذا الانتقاء يمنح النص الفرادة، ويُحقِّق فيه سمة التكثيف والاختزال؛ لأن هدف النص أن يقدم صورة عن أبوَّة مثالية؛ تلتزم بالدين في ذاتها، وتقدِّم لمخاطَبها إرشادًا يمتلئ بالمفردات الدينية المهمة على مستوى الرؤية والسلوك؛ ومن ثم فهدف القصة يكمن في المشهد الحواري؛ وإن كان يحكي عن الأسباب التي أدت إلى هذه المثالية؛ وهي شاخصة في المنح الإلهي للقمان؛ ومن خلال ذلك تبرز مدى منطقية هذا الانتقاء المستهدِف لحالة التأهيل، ومشهد الوعظ.

جـ – تزمين الحدث:

تمَّ في قصة لقمان رصد حدثين مهمين هما: حدث منح الله للقمان، وحدث وعظ لقمان لولده، وليس هناك التفات إلى تزمين هذه الأحداث؛ وهذا التجاهل لزمن الأحداث يجعلها أحداثًا مجردة؛ وهو مما يشي بأن النص يحتفي بالحدث في حد ذاته ؛ لا في توقيته، كما يوحي بأن الأحداث تحمل قيمًا أبدية خالدة، تعلو على التزمين ، وتتجرَّد منه؛ وهذا مما يومئ إلى أن الالتفات الفاعل يتَّجه نحو الفكرة؛ وهي الفكرة الخالدة، والرؤية الممتدة الصالحة لكل زمان ومكان، ولكل ذات إنسانية، وإن كان النص القرآني هنا لا يتجاهل الجانب الفني، والأدوات المنتجة له.

3 – زمن التلقي:

حدثت لحظة التلقي الأولى للنص القرآني بعد نزوله مباشرة ؛ ولأن مجيء النص القرآني يرتبط بظروف واقعية محددة؛ فإن مشروعه الدلالي يبدأ بالعمل من تلك اللحظة، ثم يستمر التلقي عَبْر الأجيال الممتدة إلى نهاية الإنسانية؛ وهذا التلقي الممتد يشي بأن النص القرآني نص خالد ؛ وهذا الخلود يمنحه تلقيًا غير قابل للانتهاء ؛ بل يتعدَّد بتعدُّد الأفراد ، وتعدُّد الأجيال؛ وهو مما يوحي بأن النص القرآني له ملاءمة أبدية؛ لأنه نص إلهي، جاء للناس؛ ليتزامن معهم حتى انتهاء وجودهم من الحياة.

وفي الغالب يحتفي علم السرد باللحظة الأولى لتلقي النص؛ لأنه يرى أن معرفة هذا الزمن مجدية في فهم العلاقة بين النص والمتلقي؛[13] ومن ثم فإن اللافت هو أن اللحظة الأولى للتلقي قد تحصد دلالات محدَّدة، وبعد تجاوزها يظل النص فاعلًا بدلالات أخرى ؛ يكون النص قادرًا على ايصالها إلى المتلقي بحسب إمكانيات الوصول الكامنة فيه، وربما تعود الدلالات الأولى المرتبطة باللحظة الأولى؛ أو بواقع النزول؛ لتمارس عملها في متلق له قناعات المتلقي الأول ورؤاه ؛ وهذا مما يجعل النص القرآني يتمتع بلياقة عالية؛ إذ تتعدَّد دلالاته ؛ لتتلاءم مع أكثر من واقع، وأكثر من متلق ؛ وكل متلق يحصد منها ويستوعب ما يناسبه، وبحسب تغيُّر الرؤى والقناعات، وبحسب الثقافة والذائقة، والعقليات والشواغل، ووسائل المعرفة. ومن حيث اللحظة الأولى للتلقي تجيء قصة لقمان؛ لتخاطب نوعين من المتلقي:

الأول: يؤمن بالقرآن، ويُسلِّم بمحتويات القصة؛ فهو يستجيب للنص، ويُقبل عليه بقوة مفعمة بالحب والإجلال، ويتعايش معه بشغف وتفان، ويتحسس أهدافه، ويعمل بمضامينه؛ وهذا المتلقي يُعدُّ بداية التأسيس للتلقي الدائم المتصالح مع النص؛ فمعه تحقَّق تواصل دافئ مع النص، وحدث انسجام بين القصة والمعطيات الواقعية؛ وهو مما يكشف عن حدوث ملاءمة تامة، وتصالح حميم.

والثاني: كافر ؛ لا يعترف بمشروع الإسلام؛ لكنه يرصد تفوُّهات الخطاب القرآني ، وينشغل بها بطريقة

تستهدف الاحتماء منه ؛ وهذا الانشغال الحذر، والمسكون بهاجس الرفض والتذمُّر؛ يمثل المدخل الفعلي لاستهداف النص القرآني لهذا المتلقي بالدلالة الخاصة باللحظة الأولى للتلقي؛ ومن ثم تتشكل للنص دلالات بالغة الثراء، شديدة الطرافة مع هذا المتلقي ؛ لأنه يمتلك قناعات جاهلية في تصوُّر العلاقة الاجتماعية التي تمثلها الأبوَّة والبنوَّة؛ فهذا المتلقي يعاني من عقدة الأبوَّة ؛ وهي عقدة ضاغطة؛ فله قناعة خاصة بها؛ إذ يراها قيمة عليا فوق قيمة الدين؛ بل هي ذاتها قد تحوَّلت إلى دين ؛ فهو يؤمن بقدسيتها حتى وإن كانت على الضلالة ، أو كانت غارقة في الوهْم، أو مجانبة للصواب، ومصادِمة لقانون العقل، وأبجديات المنطق.

والقرآن يرصد ملمح الضلال في هذه الرؤية في نصوص كثيرة للغاية، ومن خلال قناعات متباينة، وفي مواقف حجاجية مختلفة ؛ ولأن الكفر وهْم ؛ فله هواجس متشابهة؛ تتمدَّد عبر الأجيال؛ وهي هواجس غير قابلة للتجدُّد والتطوُّر؛ وهذا من ملامح العقم في المعتقد الكافر ؛ ومن ثم يعرض القرآن هذه القناعة مع المتلقي الأول ؛ وهو القرشي المكي الكافر، ويستدعي هذه الفكرة من أقوام سابقة عديدة ؛ فقد رصدها في قوم إبراهيم وموسى ، وهود وصالح وشعيب ، وأقوام آخرين تحدَّث عنهم إجمالًا؛ بل وصوَّرها عند أصحاب النار؛ وهو يسترجع مقولتهم في الدنيا باستبعاد بعثهم ، وبعث آبائهم. وقد احتفى القرآن بمعالجة هذه القناعة ؛ لأنها مثلت عقدة صارفة عن الإسلام؛ فقد غدت عائقًا مقيتًا بين المتلقي المكي الكافر، وبين الإيمان؛ ومن ثمَّ فقد عالجها في عدة محاور؛ ومنها:

▪ الابتداع المرفوض:

يرى المعتقد المكي الكافر؛ وهو المتلقي الأول للنص القرآني؛ أن الدعوة إلى التوحيد تمثل ابتداعًا مرفوضًا؛ ومناط هذا الابتداع المردود لديه؛ يكمن في تحكيم واقع الأبوَّة عند المشركين؛ وهو واقع لم يشهد مثل هذه الدعوة على حد زعم هذا المعتقد. والقرآن مع هذا الكافر القرشي يستنكر هذا الرفض، ويبطل هذه القناعة؛ فيخاطب قريشًا؛ فيقول: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [14] فالقرآن يخز هذا الكذب، ويثبت أنه يجافي واقع أبوَّة الكافرين؛ ومن ثم فهو يطعن في المرجعية التاريخية لهذا المعتقد؛ إذ يؤكد ظهور دعوة التوحيد عند السابقين؛ فليس الأمر معهم ابتداعًا، وإن كان فلا مبرر لرفضه. والصورة تبدو أكثر وضوحًا مع قوم موسى؛ إذ يقول القرآن: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾[15]. فالمعتقد الكافر يشترط للإيمان أن يكون قد تحقق ظهوره لدى آبائه؛ فهذا دليل الصدق لديه، وعلامة الصحة عنده؛ فأبوَّته هي معيار القبول والرفض لفكرة التوحيد؛ فما حدث معها يصلح للاتِّباع، وما لم يحدث فهو مرفوض.

▪ استبعاد البعث من منطق استحالة بعث الآباء:

يرى هذا المعتقد أنه يستحيل بعث آبائه؛ ومن ثم فلم يحدث أن أحدًا منهم قد عاد إلى الحياة بعد موته؛ وهو بذلك يجعل استحالة البعث للآباء مهربًا من الإيمان، ومبررًا لرفض التصديق بالدين والبعث؛ فحالة الأبوَّة هنا هي معيار القبول والرفض للدين، ومعيار الإيمان بالآخرة والبعث. والقرآن يتحدَّث عن الكافر القرشي؛ وهو المتلقي الأول للنص ؛ فيقول: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ [16]، ويقول: ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ [17].

وعن أصحاب النار يقول: ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ [18].

فهذه الأقوال مملوءة بالرفض؛ وهي تساؤلات المنكِر

الجاحد، وتبقى الأبوَّة والبنوَّة حَكَمًا ودستورًا للحجاج في البعث، ورفض التصديق به. ويقول القرآن عن قريش: ﴿ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [19]، ويقول عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[20] ؛ فالأبوَّة هنا معيار للتصديق بالبعث، وشرط حسِّي للتسليم به.

▪ **الإيمان الجازم بسبيل الآباء في المعتقد والسلوك:**

يعلن المتلقي المكي الكافر أنه لن يتخلى عن آبائه في معتقداتهم وأفعالهم؛ فقد انتهى تفكيره إلى القناعة بطريق الأبوَّة الضالة؛ ومن ثم يقول القرآن عن قريش: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [21]. ويقول عنهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[22]. فموقف الكافر القرشي محسوم، وخياره واضح؛ فهو يتنازل عن الله والرسول، ويتَّجه نحو أبوَّته، ويسلك سبيلها؛ وهو خيار مر؛ أن يُخيَّر الإنسان بين الله ورسوله وسواهما، والأكثر مرارة أن يختار ما سواهما. والعَرْض القرآني يكشف هنا عن مدى بشاعة الخذلان، وفداحة الضلال، ومرارة الانحراف عند الكافر القرشي. ويلاحق القرآن الضلال القرشي؛ فيقول: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [23]، ويقول: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾[24] وتلتفت الآية التي بعدها إلى رصد قناعة الأمم السابقة بسبيل آبائهم؛ فتقول؛ وهي تجيء بخاتمة تختلف قليلًا: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُون ﴾ [25] ؛ فطريق الأبوَّة لديها لا بديل له، ولا تنازل عنه.

ويرصد القرآن هذه العقدة عند أقوام آخرين؛ فعن قوم هود يقول: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [26]، وعن قوم موسى يقول: قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [27] وعن قوم صالح يقول: ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [28] وعن قوم شعيب يقول: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾[29] وعن أقوام عديدة يقول كاشفًا عن ردِّهم على رسلهم: ﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [30].

وهي أقوال تُعبِّر عن قناعات هذه الأقوام؛ وهي تمثل تساؤلات تفيض بالإنكار، وتشي بقوة الاستغراب، وتستبعد التخلِّي عن عقيدة الأبوَّة وممارساتها، وترى ذلك جريرة بالغة البشاعة، شديدة الجرم.

– **تبرير الضلال بحجة أنه سلوك الآباء:**

ويعرض القرآن عقدة الأبوَّة عند قوم إبراهيم بأداء أسلوبي جديد؛ فيقول: ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[31] ومرة قال: ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [32] فتجيء هذه الأقوال في لحظات الحجاج، والمداولة والنقاش، ولها نظام تقريري يُعبِّر عن موقف فيه صرامة وثبات، وإيعاز بعدم إمكانية التحوُّل عن هذا المعتقد.

▪ **إثبات القرآن لربوبية الله للأبناء والآباء معًا:**

يقول القرآن لقريش: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[33] ، فالمتلقي المكي الكافر له عقيدة في آبائه؛ وقد تحوَّلت إلى عقدة لا بد من

تجاوزها؛ ومن ثم صهر الأبوَّة والبنوَّة في دائرة العبودية لله. وعن موسى يخاطب فرعون وقومه؛ فيقول: ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾[34] فهذا المعتقَد المحتشِد للأبوَّة يتخذه القرآن وسيلة للإقناع بربوبية الله وحده؛ وهذا مما يوحي بمدى تمكُّنه من نفوس أصحابه، وقوة الإيمان به، والاحتكام إليه. وفي سياقات أخري؛ يقدِّم القرآن تعليقات شديدة الإيجاع لهذا المعتقد؛ فأحيانًا يتبنى مواجهة عنيفة، ويضمِّنها بحكم صريح بضلال هذا المعتقد؛ فيقول عن قوم إبراهيم: ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [35] ، ومرة يتحدَّث بلون من التقييم، المليء بالسخرية، والانتقاص؛ فيقول عن قريش: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ [36]. ومرة ينسب هذا الوهم إليهم، ويعلن براءة الله منه؛ فيقول عن قريش: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [37]

لقد تم رصد ثلاث وثلاثين آية تتحدث عن عقدة الأبوَّة عند المشركين؛ منها إحدى وثلاثون آية مكية، وفي سور مكية، وآيتان: واحدة في البقرة، والثانية في المائدة؛ جاءتا مدنيتين، وفي سور مدنية؛ وهذا مما يؤكد الهيمنة اللافتة لتشكُّل هذا المشروع الدلالي في اللحظة الأولى لتلقي النص، وانتمائه إليها.

وقصة لقمان في لحظة التلقي الأولى مارست إنتاج دلالة تعريضية بأبوَّة المتلقي المكي، وقد انفتحت على النماذج المشابهة لها في الأقوام السابقة؛ فاكتملت الرؤية من خلال استقصاء القرائن لها عند السابقين. ويأتي المشروع السردي في قصة لقمان مستهدفًا هذه العلاقة؛ فالقصة تكشف عن أبوَّة لقمان، وتصوِّر حواره لولده؛ وهذا الحوار يقدم شخصية لقمان شخصية توجِّه ابنها إلى الإيمان بالله وتوحيده؛ وذلك بنهيه عن الشرك بالله؛ فهي تُقبِّح الشرك وتجرِّمه، وتشي بأنه لا يصح في حق الله، كما تبوح بما يتحتَّم عليه من الواجبات الدينية ذات الأبعاد المختلفة؛ فترشده إلى حقوقه الذاتية، كما تبين له حقوق الناس عليه. والقصة تعرض هذا من منطلق أن لقمان يمثل الأبوَّة الحقيقية؛ لأنه يمتلك الصواب بقوة، ويحوز الحكم بجسارة؛ ومن ثم فهو يمثل الأبوَّة المثالية التي تستحق أن تطاع وتتبع، وينبغي أن تُجلَّ وتُحترم؛ لأنها داعية إلى الحق، وهادية إلى التوحيد.

وهذا المشروع الدلالي يمثل تعريضًا شديد الإيجاع بالمتلقي الأول؛ وهو الكافر المكي الذي اتبع أبوَّته الكافرة الداعية إلى الشرك والضلال؛ الهاضمة للحقوق، والمقصِّرة في الواجب الديني؛ ومن ثم فالقصة تندِّد بهذا التفاني الجاهل، والاتباع الضال لهذه الأبوَّة؛ وهذا يؤسس لتشكيل رؤية مختلفة؛ تتلخص في أن الأبوَّة المؤمنة هي التي تستحق التفاني والاتِّباع؛ لا الأبوَّة المنحرفة عن طريق التوحيد، وتعاليم الدين. ولخطورة هذا الإشكال؛ فإن سورة لقمان يتم توظيفها بأداء فريد لمعالجته؛ فهي تبوح بقصة لقمان بصفته ممثلًا للأبوَّة المثالية، والمقبولة دينيًّا، وتبدأ العرض من الآية الثانية عشرة. وفي الآية الواحدة والعشرين؛ وهو موضع يكاد يتوسط السورة تعرض لأساس الإشكال الذي يمثِّل عقدة الكافر المكي؛ فتقول: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[38] فهي تعرض لادعاء مفتوح؛ قد يسدُّ سبل النقاش والمداولة. وفي نهاية السورة تثبت انتفاء النفع المتبادل بين الأبوَّة والبنوَّة في الآخرة؛ فتقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ [39] وهي إشارة إلى أن الانتفاع حاصل في الدنيا، ومع الأبوَّة المؤمنة فحسب، ولا

تخلو من استهجان للموقف المستميت في الأبوَّة عند الكافرين، وإعلائهم لها بصورة أضاعت كلَّ قيمة لله والرسول والدين.

وتناول السورة للموضوع لا يخلو من الطرافة؛ فقد جاءت القناعة الفاسدة للكافر المكي محصورة بين الأبوَّة الحقيقية المؤمنة الي يمثلها لقمان، وبين التقرير الإلهي الفائض باليقين الجازم في انتفاء النفع المتبادل بين الأبوَّة والبنوَّة في الآخرة؛ وهذا ما جعل القناعة الفاسدة مضغوطة ومحاصرة؛ ولعله الحصار الهادف إلى تبديدها وتدميرها، والمعبِّر عن مدى استحقاقها للمحو والإزالة؛ إنها قناعة لا تليق بالمؤمن، ولا تستحق الحياة.

وتبقى هذه الدلالة التعريضية شديدة الحضور في الواقع المكي؛ لهيمنة عقدة الأبوَّة الضالة في وجدان المتلقي الأول للنص؛ لكن في الواقع المدني كادت أن تختفي؛ ومن ثم قلَّ الخطاب المعالِج لها بصورة لافتة؛ إذ لم تبرز هذه القضية سوى في آيتين؛ واحدة في البقرة، والثانية في المائدة. وتبقى هذه الدلالة التعريضية بقاء القرآن، وتتزامن مع الأجيال الإنسانية؛ فإذا ما تشكَّل لون من القناعة المستميتة في الأبوَّة الضالة، أو برز نوع من التعصُّب الأعمى للأسرة؛ فإن هذه الدلالة التعريضية تمارس حضورها وفاعليتها في التوجيه والإرشاد.

وفي الوقت ذاته يبقى النص السردي هنا يعمل دلاليًّا في مجالات كثيرة، وبصورة دائمة. فله فاعلية لا تتوقف في مقاومة الشرك، والحث على الأداء السليم للواجب الديني، والالتزام الموجَب بالأخلاق السوية. فضلًا عن المبادئ والقيم، والمُثل والفضائل التي تبوح بها التقنيات السردية داخل القصة؛ وهي ذات وفرة لافتة. ويلاحظ هنا أن النص يمتلك قدرة فائقة على الإحالة إلى ما هو خارج عنه؛ فهو يرتبط بالخارج بقوة، ويتلاحم معه بحميمية؛ وهذا مما يحمي النص من العبث، ويعصمه من فراغ القيمة.[40]

ب – المكان:

للمكان أهمية كبيرة في السرد، ويبرز في النص السردي بنمط سيميائي، ويتلاحم مع تقنية الوصف، وتتجه وظيفته في الغالب نحو تعزيز ملامح الشخصية، والتأسيس لتوقع الأحداث، وإبراز هويتها الخاصة، ويختلف المكان على الزمان من حيث القيمة؛ فللزمان قيمة تجريدية؛ أما المكان فقيمته حسية؛ وهذا مما يجعل وظائفه ذات سمات حسية.

والسرد القرآني في قصة لقمان لم يلتفت إلى المكان السردي؛ وهذا المسلك الفني المتجاهل للمكان له مراميه الخاصة؛ فهو يعتمد على أن المكان مسلَّمة يمليها قانون الوجود؛ فيمكن استنباطه بحكم هذا المنطق. كما أن هذا الإغفال يشي بقلة قيمة المكان؛ وهو ما يمثل اعلانًا بقيمة الشخصيات وصفاتها، والأحداث وهوياتها. بالإضافة إلى أن السرد هنا يستهدف تشكيل مكان مطلق؛ ومن ثم فهو يوظف هذه السمة للتعبير عن مجموعة من القيم والمبادئ العامة التي من شأنها أن تكون صالحة لكل مكان؛ فهناك قصدية تستهدف تجريد المعنى القرآن من الارتباط بالبيئة الخاصة، والانحصار في المكان الضيق؛ وهو مما يشي بأن المعنى القرآني يصلح للانفتاح التام على كل الأمكنة، وكل الأزمنة، وعلى كل الذوات.

وبما أن القصة تمثل لونًا من السرد التاريخي؛ فهذا يجعل مصدر المكان هو التاريخ؛ ومن ثم تبرز قيمة الوثائق التاريخية في تحديد المكان؛ فهي مُكمِّل ضروري لاستجماع ملامح البناء الفني؛ وهو مما يؤهل لقراءة المكان، ورصد إسهاماته الإيحائية في النظام السردي هنا. والمستندات التاريخية تبوح بأن لقمان رجل

من أفريقيا؛ وهي تختلف في التحديد الدقيق لموطنه؛ فمرة تقول: إنه من الحبشة، ومرة تقول: إنه نوبي؛ أي من النوبة؛ وهي الواقعة جنوب مصر؛ ومن ثم قيل عنه: إنه من سودان مصر، ومرة تقول: إنه من السودان؛ وهي تعني بلاد السود؛ أي أفريقيا.[41] وهذا التحديد يرتبط بالموطن؛ فهو تحديد مفتوح بصورة تجعله غامضًا من الناحية الفنية؛ وإن كان هذا الانفتاح المكاني يومئ إلى أن النص القرآني نص مفتوح لكل مكان. لكنه بدا مفتوحًا بصورة أوصلته إلى درجة الغموض؛ إذ لا يسهم بإبراز تفاصيل تعمِّق الوعي بهوية الشخصيات أو الأحداث؛ فهو يفتقر إلى السمة النوعية؛ وغيابها بدَّد كثيرًا من التفاصيل.

وتبقى السمة المكانية ماثلة في أفريقيا؛ وهي تحيل على السواد من الناحية الحسية، وعلى العبودية من الناحية الاجتماعية. وأفريقيا وطن المفارقات؛ فهي رمز الخصوبة والنماء، والخير والنفع، وهي مؤشر الفقر والجوع والعبودية. ولعل هذه المفارقات تكون مقصودة في هذا النص السردي؛ فلقمان عينة شديدة الإيجاب، مارست ظهورها الفاعل من عمق الوطن الأفريقي؛ فهو عينة تضاف إلى رمزية الوطن الماثلة في الخصب والخير والنفع؛ وهذا لا يخرج عن قيمة الحكمة الممنوحة للقمان. كما أن الوطن يشكِّل قضية فيها قدر كبير من التحسُّس، ولها أصداء سالبة في الذائقة العامة؛ فأفريقيا وطن السود؛ والسواد مؤشر العبودية، وملمح النقص. واختيار لقمان من هذا الموطن يفترض أن يستدعي معه هذه الدلالات كاملة؛ لكنه جاء بصورة شديدة الإيجاب ، بالغة الفرادة في التدين والحكمة والمسئولية؛ فعمَّق المفارقة الكامنة في الوطن، واستهدف تبديد القناعات السالبة المترسخة في الذائقة الإنسانية، ومارس البوح بأن قيم الإيجاب والمثال قد تخرج من مواضع غير متوقَّعة؛ وهذا تدمير للقناعات المسبقة، وإبطال للأحكام الجاهزة؛ وهذا المشروع الإيحائي يقوي التشريع الإسلامي في نصوصه النافية للقيمة الجاهزة للأبيض على الأسود، ويعزز من مشروع الإسلام الذي مجَّد عناصر كثيرة من السود؛ واستهدف المقاربة بين الأجناس؛ وعمَّق إبطال القناعات العامة التي تقوم على الاتهام الجاهز للآخر بالفساد والعقم والمجانية.

ثانيًا: الأحداث:

تُعدُّ الأحداث عنصرًا أساسيًّا في السرد؛ ويفترض أن تقوم على نظام قابل للتحليل العلمي. والمقاربة التحليلية تناور الأحداث من مواقع كثيرة؛ فتحاول قراءة ملامحها، وطرق التعبير عنها، وترصد وجود الترابط بينها، وتتأمل فيها الحركة والسكون، وتلتفت إلى الفواعل، وكيفية أدائها للأحداث، ولا تغفل هوية المفعولات والموضوع. وتتشكل الأحداث في قصة لقمان في نوعين: **الأول** هو حدث المنح، **والثاني** هو حدث الوعظ؛ والفعل الأول ينسبه النص إلى ذات الله: صاحب النص:" الراوي"؛ إذ يقول:" **ولقد آتينا لقمان الحكمة**"؛ وهذا الحدث يسهم بقوة في تشكيل الأحداث، ويقوم بدور فاعل في بناء القصة، وتوجيه مسار السرد. والفعل الثاني تقوم به شخصية لقمان؛ فيقول:" **وإذ قال لقمان لابنه**"؛ وهو حدث تستوعب حيثياته الحكاية كلها. وممارسة الفعل الأول تستهدف تشكيل مفهوم الحكمة بكل ما تعنيه من معاني الفقه، وسلامة الرؤية ، وصحة العبادة، وفق اشتراطات التصوُّر الإسلامي ، وهو يتخذ من لقمان ذاتًا تحتل المقام الثاني للمفعولية؛ إذ يتلقى ممارسة المنح الإلهي بكل فيوضاتها الربانية. أما الفعل الثاني؛ فإن فاعلية لقمان الممارِسة للنصح تستهدف ابن لقمان بوصفه ذاتًا تحتل مقام المفعولية؛ لتحظى بتلقي الوعظ، وتقبُّل النصح. ويأتي الفعل الأول بتشكيل مفعم باليقين

والجزم، ويحظى بنوع من التأكيد، ويجيء بزخم من القوة؛ ليعبِّر عن منح إلهي دافق؛ مملوء بالقوة والعظمة. ولا يخلو الفعل الثاني من التأكيد واليقين والتحقُّق؛ وإن بدا يقلُّ قليلًا عن الفعل الأول من حيث الأدوات الباثَّة لهوية الحدث، والموحية بألوانه الخاصة، وظلاله الفارقة.

وقد عبَّر القرآن عن الأحداث بصيغ مختلفة؛ فالحدث المركزي الناتج عن الله جاء بلفظ الإيتاء، في حين أن الأحداث الناتجة عن لقمان جاءت بتنوُّع تحقَّق في ثلاثة أشكال: **الأول:** هو تنوُّع من حيث المادة؛ إذ برز في شكلين؛ هما: القول والوعظ. **والثاني:** هو تنوُّع من حيث البنية اللغوية؛ فحدث القول جاء بصيغة الماضي، وحدث الوعظ برز بصيغة المضارع؛ وهذا التنوُّع يسهم في إحداث تحوُّلات فاعلة في الهوية الدلالية. **والثالث** يكمن في حدث القول الذي مارس حالة من التشكيل المتباين؛ إذ تأرجح بين الظهور والاختفاء. وهذه تشكيلات متباينة؛ تحقق سمة الاختلاف؛ وهذا التنوُّع يمثل قيمة في الأداء التعبيري؛ لأنه يولِّد المعاني بصور متعدِّدة، ويجعلها تفيض بظلال دلالية شديدة الثراء والفنية.

ويجيء حدث المنح متقدمًا في البناء السردي؛ وهو يؤسس لتشكيل الوعي بجملة من ردود الفعل التي ستجيء في وقت لاحق؛ فحدث المنح يثير توقعات تفترض أن نقرأ في لقمان مواقف وسلوكيات تفيض بالسلامة والمثالية، والنضج والمسئولية؛ ومن ثم يتحوَّل حدث المنح إلى سبب؛ في حين يجيء حدث الوعظ في مقام النتيجة الكاشفة عن هوية حدث المنح؛ ومن ثم يتم الربط بين الحدثين من خلال المفهوم المنطقي المعبِّر عن الفعل، وردِّ الفعل؛ وهذا مما يجعل الأحداث تترابط بصورة تجعلها غير قابلة للانفصام؛ لأنها محكومة بقانون المنطق، ورباط السبب؛ وهذا التسلسل المنطقي من القيم الحقيقية للأحداث، وللبنية السردية.

كما أن منطق الترابط هو المعيار الفعلي لمنظومة الأحداث داخل النظام السردي؛ لأن التتابع ليس له في السرد سلطة تجعله حتميًّا. فالأحداث هنا تنتظم وفق مخطط سببي؛ وهذه السببية تستلزم تراتبًا زمنيًّا، كما تستدعي البعد التفسيري؛ فحدث الوعظ يترجم هوية المنح الإلهي ويفسِّرها، ويحقق التآزر في تقديم المشروع الرؤيوي والدلالي للقصة؛ وهذا مما يمنح الأحداث لونًا من القيمة الشمولية. وحدث الوعظ يجيء في نسق تفسيري لحدث القول؛ إذ يمنحه خصائص نوعية فارقة بينه وبين سائر الأقوال، وقد حاول النشاط التفسيري للنص أن يرصد مثل ذلك؛ فانتهى إلى أن الوعظ لون من القول الذي يمازج بين إثارات متضادة في الموعوظ؛ إذ يسهم في تشكيل تضاد يحقق دافعية ذات اتجاه موحَّد.[42]

وفي الغالب يقوم الحدث المركزي في السرد على الصراع؛ ويصبح دافعًا فاعلًا لحركية النص وحبكته. وفي قصة لقمان يغيب عنصر الصراع والتعارض؛ وهو مما يوحي بأن المنح الإلهي الدافق، والعطاء الأبوي السخي من لقمان يندغمان في هوية دينية موجبة؛ تسهم في صناعة التصالح بين الخالق والمخلوق، وبين الذوات البشرية؛ فغياب الصراع في قصة لقمان هو مؤشر التصالح الأسري، والاستقرار النفسي؛ وهي دلالات يبثها النص؛ ليوحي بأن الدين تصالح واستقرار، وأن الاستقامة عليه هي السلامة والأمان. يمكن تقبُّل حدث الوعظ في حدود الأعراف الإنسانية والمنطقية؛ في حين أن تقبُّل حدث المنح فيه إشكالات كثيرة؛ لأنه يرتبط بذات الله؛ والله له قدرة بالغة التصرُّف؛ فقد تقف عند قانون الوجود، ومنطق التأهيل الإنساني؛ وذلك في ضرورة الأخذ الكافي من

الزمن من أجل إحداث التحولات في تشكيل الإنسان وصناعته، وقد يتم إحداث التحوُّل بلون من الطفرة؛ وهذا مما جعل بعض المستندات التاريخية تومئ إلى هذه الطفرة؛ حين رأت أن لقمان نام، وأصبح يقول الحكمة.[43] لكن بناء الأحداث هنا لا يمنع من وجود فاصل زمني يطول أو يقصر بين الفعل ونتائجه. ويلاحظ أن هذه الأحداث تسهم بفاعلية في التعبير عن حالات من العلاقات بين الشخصيات؛ فحدث المنح يكشف عن حالة من الحب الإلهي الطاهر؛ وهي حالة مكَّنت من اصطفاء لقمان واختياره، وهناك حالة من الرغبة في أن يكون نموذجًا يتم احتذاؤه في الاهتداء، وسلامة القناعة، وصحة الممارسة. وفعل الوعظ يشي بأن للقمان رغبة في أن يتواصل مع ولده، ويحقِّق معه علاقة اتصال تناهض البعد والقطيعة، بالإضافة إلى الرغبة في أن تصل موعظته إلى ولده؛ فيتمثلها من حيث الرؤية والسلوك.

ثالثًا: الشخصيات:

جاءت قصة لقمان بعدد قليل من الشخصيات؛ إذ اقتصرت على شخصيتين هما: شخصية لقمان، وشخصية الابن؛ وهذا مما يجعل القصة تنحو نحو البساطة؛ إذ تخلو من التعقيد والتشابك؛ لأن وفرة الشخصيات تستلزم وفرة الأحداث، وتعدُّد العلاقات وتداخلها؛ وهذه البساطة لا تقلل من القيمة الفنية للقصة؛ فهي البساطة التي لا تتخلى عن الأداء الفني البديع، ولا تفتقر إلى النضج الجمالي المائز. وإنما تستهدف تحقيق السهولة في حيازة مرامي القصة، والوعي السريع بمضامينها، وأهدافها الخاصة. بالإضافة إلى أن الحكاية تستهدف الإفصاح عن موقف لقمان، في حين تسكت عن موقف الابن.

شخصية لقمان:

يقدم النص شخصية لقمان بوصفها شخصية مرجعية؛ لها وجودها الحقيقي في التاريخ؛ لأن القرآن لا يعتمد على الشخصيات الخيالية في بناء قصصه؛ فضلًا عن أن هذا الوجود تثبته كتب التاريخ والتفاسير بصورة تفيض باليقين والجزم.[44] كما تُقدِّم القصة شخصية لقمان بمجموعة من المقومات؛ فتشير إلى اسمه ونوعه، وتومئ إلى سنه، وترصد وظيفته الاجتماعية؛ وقد عرضت القصة هذه الشخصية باسمها الصريح:" **لقمان**"؛ وهذا الأداء الصريح يوحي بأن الأصول لا بد أن تحظى بالوضوح والبروز؛ وهو وضوح الموقف الموجب، والبروز القيمي في واقعها، وواقع بنوَّتها. كما أن التصريح يعمق الوعي بمرجعية الشخصية في بيئتها الخاصة، وفي واقع تلقيها. وجاء الاسم بتنوُّع في المعنى النحوي الذي تشكَّل فيه؛ فمرة جاء في مقام المفعولية، ومرة برز في مقام الفاعلية؛ وهي معان تتلاءم مع مفاصل النص؛ إذ تجلَّى معنى المفعولية في المهاد التعريفي؛ ليكشف عن معنى المنح الحاصل للقمان، وبرز معنى الفاعلية في مطلع الحكاية؛ إذ جاء بمثابة الوسيلة الكاشفة عن السلوك الذي جعل لقمان أهلًا للمنح الإلهي الدافق السخي. فلقمان شخصية تجيء في مواقع متعدِّدة؛ وهو مما يجعلها على درجة عالية من اللياقة.

والاسم:" **لقمان**" مفعم بدلالات الحركة والسرعة؛ وهي مؤشرات التحوُّل، والوجود الفاعل؛ ولعل ذلك يشي بأن الحياة الحقيقية تكمن في سلامة الرؤية، وصحة السلوك. كما أن الاسم يفيض بالوضوح المرتبط بالطريق والمسلك، كما يُعبِّر عن الاعتلاء الجسور، والانتصار السامق على الخصوم[45] ؛ وهذه المعاني تعزِّز من قيمة الشخصية، وتتصالح مع حكمتها وتدينها. وفعل الإيتاء المرتبط بالحكمة جعل شخصية لقمان تجيء بلقب واضح؛ فقد شاع اسمه في التاريخ منسوبًا إلى الحكمة؛ فسمي:" **لقمان الحكيم**"، وهذا

اللقب يمثل أعلى سمة عرف بها لقمان؛ فهو يمنح شخصية لقمان صفة صريحة تسهم في تحديد ملامحها، وتكشف عن هويتها، وتحيل على نوعية القناعة والممارسة لديها. والحكمة لا تخرج عن الفهم العميق للحياة، والتعبير الدقيق عنها؛ فهي امتلاك جسور لقلب الحقيقة؛ لأنها تمثل الوعي الدقيق بالوجود، والفهم الناضج للحياة، والسلوك الصائب الذي يحقق التصالح المريح مع الحياة والبشر، ويؤسس للنجاح في الآخرة، وتجاوز عقباتها العائقة. كما أنه من خلال اللقب تتم التفرقة بينه وبين لقمان آخر؛ وهو لقمان عاد: صاحب النسور.

كما تومئ القصة إلى نوعه وسنه؛ فهو رجل كبير؛ والرجولة مؤشر القوة، والاحتكاك المباشر بالواقع والناس؛ ومن ثم فهي تحيل على النضج الفاعل، والوعي الدقيق بالحياة والناس والأحداث، والكِبَر مظنَّة النضج، والوعي، والخبرة؛ وهي معاني لا تخرج عن المحصول الدلالي والإيحائي للحكمة. كما أن القصة ترصد وظيفته الاجتماعية؛ فهو أب سوي محبٌّ لولده؛ إذ يبدو شخصية ممتلئة بالحنان والعطف نحوه؛ فهي مشفقة عليه، ناصحة له؛ وهذا مما يجعل لقمان يمثِّل الأبوَّة الحقيقة التي تمارس السلوك السوي المتوقَّع منها؛ وهذا أيضًا لا يخرج عن مفهوم الحكمة.

والقصة تقدمه شخصية ذات مرجعيات دينية وثقافية؛ فهي تبوح بأنه رجل مؤمن؛ يتصالح مع تعاليم السماء بقوة، ويتمثَّلها قناعة وسلوكًا؛ ومن ثمَّ فقد وصل بذلك إلى درجة عالية من اليقين؛ وهو مما مكَّنه من أن يكون أهلًا للحكمة الممنوحة. كما تقدم القصة شخصية لقمان شخصية ناطقة أو تعبيرية؛ إذ يبرز دورها في التعبير عن أفكارها، ومشروعها الرؤيوي؛ وربما استهدفت من ذلك أن تومئ إلى أن الأبوَّة الحقيقية ينبغي أن تكون مع أبنائها دائمة التوجيه، كثيرة الملاحظة، سخيَّة في النصح؛ فلا يصح في حقها الصمت، ولا يجوز لها أن تتجاهل بنوَّتها، أو أن تهملها، أو تضن عليها بالإرشاد. وربما كانت سمة النطق موحية بأن التوجيه يحق للعقلاء الحكماء، وللمؤمنين بقيم السماء، والمقتنعين بقانون القيم والفضائل، وللكبار الذين منحهم العمر معرفة دقيقة بالحياة، ووعيًا عميقًا بالصلاح والفساد. وهي هنا شخصية إشارية؛ إذ نابت عن المؤلف؛ أو صاحب النص، ونطقت باسمه.(46)

كما جاءت شخصية تختزل الفعل وتحتكره؛ وهو مما يوحي بأن لها وظائف فعلية؛ وهو ما يمنحها سمة التأثير والفاعلية؛ ومن ثم برزت أهميتها في الأحداث بصورة لافتة؛ وهو مما جعلها شخصية محورية. كما جاءت شخصية لقمان متعدِّدة الجوانب؛ فهي تمثل الجانب الديني؛ إذ تلتزم بالدين، وبمفرداته العقائدية والسلوكية، وتحرص على أن يشاركها غيرها في هذا الالتزام. وتمثل الجانب الاجتماعي؛ فهي نموذج للأبوَّة السوية؛ المحبة لبنوَّتها، الناصحة لها، والحريصة على استقامتها. وهذا التعدُّد يمثل إيماءة إلى السمة الواقعية في قصة لقمان. كما جاءت شخصية مسطحة؛ وهو مما يجعلها مفعمة بالبساطة، وتتسم بالثبات؛ إذ تمضي دون أن تتغير مواقفها وعواطفها؛ وهذا مما يجعلها شخصية إيجابية، ولها قدرة فاعلة على التأثير، وقابلية للتأثر.(47) وهي معاني ينشدها القرآن بقوة في الشخصية المسلمة. كما تبدو وهي تمتلك المكيفات الرئيسية المحدِّدة للكفاءة؛ وتتلخص في الشعور بوجوب الفعل، والرغبة فيه، والقدرة عليه، والمعرفة به.(48)

شخصية الابن:

تشكَّلت هذه الشخصية بسمات قليلة؛ فقد جاءت ولدًا؛ وهذه الذكورة تومئ إلى ملمح التجانس مع لقمان،

وتمنح النصح أو الحوار هوية خاصة، وتسهم في تحديد الفعل الديني المطلوب. والوصف يشي بأنه صغير السن؛ وهو مما يومئ إلى حقه في الرعاية والتوجيه، ويعزز من قيمة نصح لقمان، ويؤسس لحقوق الطفولة، والأجيال الناشئة في الاحتفاء والإرشاد. وجاءت هذه الشخصية متقبِّلة لأعمال الوعظ؛ واقتصر دورها على ذلك؛ فلم تقم بفعل ما؛ وهذه الوظيفة تحقق نوعًا من الإيحاء بقيمة النصح وأهميته ومنطقيته. وتشي بأن الابن في طور التأهيل؛ فهو في مقام الأخذ والتلقي. وبما أن القصة قد قامت بشخصيتين فقط؛ فإن شخصية الابن تزداد قيمة؛ وتصبح شخصية رئيسية؛ وإن لم تقم بعمل ما؛ إذ لولاها لفسد منطق القصة برمته. وقدَّم النص شخصية الابن بلون من الغموض؛ إذ لم يلتفت إلى اسمه، كما حدث مع لقمان، إضافة إلى كونه شخصية صامتة؛ فلم تشارك لقمان حواره، ولم تزُد عليه؛ ومن ثمَّ لم يتحدَّد موقف هذه الشخصية من الخطاب الموجَّه إليها، ولم تتحدد رؤيتها إزاء المشروع الدلالي والإيحائي الذي تحمله وعظيات لقمان. وهذه السمات أوجدت حراكًا تأويليًّا لدى المفسرين في تحديد هوية هذه الشخصية؛ فالبعض يقول بأن ابن لقمان كان كافرًا، والبعض يقول بإيمانه.[49] وربما كان الكفر مؤهلًا للرد والمحاورة؛ لأنه يخرج عن أدبيات الصمت، ولأنه لا يحترم المُثل؛ مثل ما حدث مع ابن نوح الذي قرر الاستعصام بالجبل بدلًا من الإيمان.

وترك تسمية بعض الشخصيات ليس خروجًا عن قوانين العمل السردي وأبجدياته؛ فمن المألوف أن تجيء بعض الشخصيات بدون أسماء؛ وأحيانًا يكون تجرُّد الشخصية من التسمية له مردودات فنية عالية القيمة؛ ففي هذا النص أدى تجاهل التسمية إلى صناعة نموذج؛ وهذا الإجراء يقوم بإخراج الشخصية من وجودها التاريخي، وسياقها الخاص؛ لتتحوَّل إلى قيمة؛ ومن ثمَّ تكتسب الشخصية فاعلية أعلى، وقوة أكبر؛ فتصبح مشحونة بقوة رمزية عالية؛ وهذا مما يجعلها شديدة الثراء والخصوبة من الناحية الفنية. وشخصية الابن تشكلت نموذجًا لكل ذات أو ابن تقترب سماته الشخصية منها، أو يحدث تشابه بينهما في الموقف؛ ومن ثمَّ يمكن أن تتكرر في أي سياق؛ فهي نموذج للبنوَّة؛ فأي مسلم بعد لقمان هو ابن له؛ بنوَّة دينية وتربوية. وإغفال الاسم الصريح بدا هنا مؤهلًا لإبراز سمات خاصة للشخصية، كما أسهم في توليد المعنى، وحقَّق لونًا من التكامل الدلالي والإيحائي للشخصيتين. وقد تم تعويض التسمية بالوصف؛ وهو أساس لبناء النموذج؛ لأنه مفعم بالعموم القابل للتداول.

أما كونها صامتة؛ فربما كان الصمت راسمًا لاشتراطات الموقف، راصدًا للسمات المطلوبة في البنوَّة أمام موقف الأبوَّة في حالة النصح والتوجيه؛ فالصمت يؤسس لبناء الموقف المطلوب؛ وهو موقف يتلخص في أنه يفترض في البنوَّة وفرة الاستماع بصورة عامة. كما يوحي بأن البنوَّة الحقيقية تلتزم الصمت أمام الأبوَّة في حالة التوجيه السديد، والنصح الرشيد. وربما كان الصمت موحيًا بأن المشروع الفكري الذي استهدف لقمان إيصاله إلى ولده؛ هو مشروع إيماني؛ فكل الأفكار التي يتضمنها تجيء ضمن منظومة القيم والفضائل؛ وهي لا تقبل المناقشة، ولا تسمح بالمراجعة؛ لأن الذوات الإنسانية السوية لا تختلف على الأصول الثابتة، ولا تشكك في القيم الراسخة.

- **عن ملامح بناء هذه الشخصيات.**

ويلاحظ أن هذه الشخصيات قد تم بناؤها من خلال جملة من الإجراءات الفنية؛ وتتلخص في الآتي:

• جاءت شخصيات القصة من الواقع التاريخي؛ فهي شخصيات حقيقية، لها وجودها التاريخي الفعلي، ولها زمانها ومكانها؛ لأن القرآن لا يعتمد في قصصه على الشخصيات الخيالية؛ ومن ثم يقدم الشخصيات بصورة تتلاءم مع ما عرف عنها في التاريخ؛ وهو مما يجعل بناء الشخصية يقوم على نوع من الاختيار، وانتقاء ملامحها وسماتها. وحديث القرآن عن لقمان وولده هو مصدر هذا العمل السردي، في حين جاءت التناولات غير القرآنية المتمثلة في المستندات التاريخية وغيرها تابعة للنص القرآني. وتبقى هذه المرجعيات التاريخية ممثلة لأعلى قيمة في السرد التاريخي.

• تخضع الشخصيات في العمل السردي لعملية بناء؛ وهو إجراء يقوم على الانتقاء، وقد مارس النص القرآني تشكيل سمات الشخصيات هنا بصورة شديدة الفرادة؛ إذ جاءت سماتها في بيئتها التاريخية متلائمة مع الواقع التاريخي الذي تمت فيه حكايتها؛ ومن ثم تتصالح القصة بقوة مع بيئة نزول النص، وهو مما جعلها تسهم بفاعلية في تشكيل منظومة التعاليم الإسلامية، وكانت أهدافها جزءًا من التشريع ابتداء من لحظة النزول إلى ما بعدها.

• كما أغفلت هذه القصة الجانب المادي في الشخصيات، واستهدفت إبراز الجانب المعنوي والسلوكي؛ مع أن المستندات التاريخية تبوح بتفاصيل كثيرة في الجانب المادي خاصة فيما يتعلق بشخصية لقمان؛ وهذا الاستهداف للجانب المعنوي والسلوكي مقصود؛ فهو يشي بأن قيمة الإنسان بما يمتلكه من سلامة القناعات، وصحة الفعل؛ أما الشكل واللون والجنس والمال لا تمثل معايير للإنسانية الحقيقية؛ ومن ثم فالإنسان في التصوُّر القرآني مشروع قيم؛ تتحدَّد وظيفته في دقة الالتزام بالقيم والفضائل بحسب الاشتراطات الدينية.

• كما أن القصة تميزت بالقِصَر، ولها بناؤها الخاص؛ وكلاهما لم يسمح بتحديد بعض سمات الشخصيات من حيث كونها شخصيات ساكنة أو نامية؛ لكن القصة فيها إشارات صريحة وضمنية إلى كونها شخصيات خاضعة لفكرة التحوُّل والنمو؛ ففعل المنح يسهم في إحداث تحوُّلات في شخصية لقمان؛ وموعظته بكل تفاصيلها تبوح بهذا التحوُّل. وشخصية الابن تتلقى وعظًا حكيمًا بليغًا يشي بدلالات ضمنية إلى حتمية حدوث تحوُّلات في شخصيته؛ ومن ثم فقد جاءت الشخصيات في نسق سردي يرصد حالة التحوُّل في الشخصيات؛ وهو تحوُّل في المسار النفسي والفكري، والديني والاجتماعي.

• كما تم بناء الشخصيات بصورة النموذج؛ ومن ثم أصبحت شخصيات القصة تمثل أرقى درجات التمثيل لجملة من الخصائص أو القيم والمعطيات المعبِّرة عن مجموعة من المعاني الدينية والاجتماعية.

• وجاءت الشخصيات بوظائف متنوعة؛ فجاءت مكونة للأعمال، ومتقبِّلة لها؛ فشخصية لقمان تلقت الفعل الإلهي للمنح، وفي الوقت ذاته مارست القيام بفعل الوعظ والنصح؛ فجاءت في مقام الآخذ، ومقام المعطي. في حين جاءت شخصية الابن في دور المتقبِّل لحدث الوعظ؛ وهذا التنوُّع في الوظائف يستلزم تعدُّد المعاني التي توحي بها.

المكتوب الثاني: بنية الخطاب.

تستهدف بنية الخطاب رصد المكونات السردية التي يتم إنتاجها في المبنى الحكائي أو الخطاب؛ وهي تتكامل مع الأدوات الفنية البارزة في المتن الحكائي أو الحكاية. وتتلخص هذه المكونات في الآتي:

أولًا: السرد:

يعد أسلوب الحكي من الأساليب الأثيرة في القرآن كله؛ إذ يتم توظيفه بصورة لافتة؛ لأنه ينقل

الممارسات ، ويعرض أفعال الشخصيات؛ والقرآن يحتفي بالممارسة؛ لأنها هي القيمة الفعلية للذوات. وهنا يحكي القرآن عن لقمان، ويصور موقفه التاريخي مع ولده؛ وذلك بأداء حكائي واضح؛ إذ يبدأ العرض بقوله تعالى:" **ولقد آتينا..**"، ثم " **وإذ قال لقمان..**"، ثمَّ " **ووصينا الإنسان..**"، ثم" **حملته أُمُّه..**"؛ وهي تشكيلات لغوية، تفيض بالحكي الذي يفصِّل امتنان الله على لقمان، ومنحه للحكمة، كما تسرد حوار لقمان مع ولده بلفظ القول، وهي تتبع حالة التفوُّه الموجَّه من الأب إلى الابن، وتحكي وصية الله للإنسان بوالديه، وحمل أمه له. كما أن قيمة الأسلوب الحكائي تكمن في كونه يمتلك سلطة تأثيرية فاعلة على المتلقي؛ فله هيمنة على وجدانه، ويصحبه اصطحابًا دافئًا، ويجعل النص والمتلقي يترافقان ترافقًا شائقًا؛ فالسرد يشدُّ المتلقي، وأسلوب الارتداد التاريخي له زخم تأثيري فاعل. وربما يرجع ذلك إلى أن التكنيك الحكائي له اشتراطات فنية متعدِّدة، وتتوُّع في الأدوات الحكائية التي تسهم إسهامات مختلفة في تعزيز فاعلية المشروع الدلالي للنص. في حين يمتلئ الخطاب المباشر بكثير من الفخاخ؛ فقد يوقع المتلقي في الرتابة والملل؛ لأنه يستثمر إمكانيات التشكيلات اللغوية فحسب، أما تكنيك الحكي فيوظف البنية اللغوية، بالإضافة إلى تنوُّع أدواته الناقلة لمشروعه الدلالي والإيحائي.

ومن حيث علاقة زمن المغامرة بزمن الرواية يجيء السرد هنا من السرد اللاحق؛ إذ إن زمن الحكي جاء بعد زمن الممارسة؛ وهذا ربما كان من أهم أنواع السرد، ومن أكثرها شيوعًا؛ وهذا يوحي باستهداف الحكي لتقنية فنية تتحقق لها الأهمية، وتحظى بالقبول. وهنا تبرز خصوصية لافتة للراوي؛ فهو موجود في زمن المغامرة، وزمن السرد، وفي كل زمان ومكان؛ ومن ثم فمع بعد الفاصل الزمني بين زمن الوقائع، وزمن السرد المتمثل في لحظة النزول؛ فإن هذا الفاصل يستدعي اختلافات كبيرة بين واقع المغامرة، وواقع السرد؛ وهي اختلافات كامنة في الذائقة، وفي اللغة، وحتى في مفردات القيم التي تحملها القصة، وتفاصيل مظاهر السلوك الديني؛ ومن ثم فإن الراوي يكيف المادة المروية من حيث اللغة، والأداء الأسلوبي، والأبعاد الدلالية والإيحائية بما يتفق مع رؤية الإسلام واشتراطاته.

ويلاحظ أن التشكيل الحكائي هنا يستخدم بنية الماضي بهدف التأكيد، ورفع درجة اليقين في مضمونات السرد. كما أن هذه البنية تمارس عملية استدعاء للفائت بهدف إعادة العرض المؤهِّل للقراءة والتأمل، وهي ممارسة تؤمن بقيمة المشروع المستدعى وأهميته، وتجزم بقدرته على تحقيق النفع، واستخلاص ما يسهم في تصحيح المعتقد والسلوك معًا. وبنية الماضي تبوح ببنية الزمن السردي؛ وهي هنا داخل السرد؛ فهي زمنية داخلية؛ تتعلق بالسرد والقراءة، وتنتمي للخطاب لا للحكاية؛ كما في فضاء السرد. والسرديات لا تلتفت إلى الزمن الوجودي؛ لأن أزمنة السرد لا علاقة لها بأزمنة النحو التقليدي؛ لأن زمنية الفعل في السرد تتحقق من خلال الجملة؛ لا من بنيته الصرفية كما يرى علم النحو؛[50] ومن ثم فإن بنية الماضي هنا لا تستهدف رصد منجز فائت، وتم تجاوزه؛ بل تبوح بلون من البقاء والاستمرار؛ ففعل المنح ترافق مع لقمان من لحظة المنح، ويمتد طوال حياته الحسية والمعنوية، ومثله فعل الوعظ؛ فلايزال نابضًا بالحياة. والأمر أكثر وضوحًا مع فعل الوصية، وفعل الحمل والفصال؛ فحتى المعنى القرآني ربما لا يستهدف فيها المضي بقدر التأسيس لوضعية مستمرة؛ تتجدَّد مع كل جيل، وتترافق مع الإنسانية

بصورة لا تتخلف؛ ومن ثم فزمنية الفعل نابعة من سياقه البنيوي؛ وليس من قالبه الصرفي.

وزمن السرد هنا زمن تاريخي اجتماعي له منطقه في التسلسل، ويرتبط بالسرد التقليدي، والسرد الذاتي، ويوظف ضمير الغائب؛ ليوحي بواقعية السرد من حيث الأحداث والشخصيات والعلاقات، ويعتد بالقيمة التداولية لهذا الضمير، ويسر التلقي له، وقدرته على منح السارد فرصة التواري.[51] ويلاحظ أن السرد هنا فيه تطابق في ترتيب الأحداث في زمن السرد، وزمن الحكاية؛ مع أن افتتاحية السرد ببنية الماضي تشي بلون من الاسترجاع؛ لكنه استرجاع غامض؛ لأن مداه مفتوح، ولا يمكن قياسه؛ لا بمدى الاسترجاع، ولا باتساعه. ومن حيث مستوى المدة، وقياس سرعة السرد؛ يأتي لون من التلخيص لحدث المنح؛ فهو يتعلق بزمن التأهيل، وإحداث التحوُّل؛ وهذا يرتبط بحسب إمكانيات الشخصية، وفاعلية وسائل التحوُّل؛ وهذا التلخيص أغفل تفاصيل كثيرة في حيازة الحكمة، ولعل الوظيفة البنيوية لهذا تكمن في تسريع حركة السرد، والإعلان عن هوية الراوي وموقعه. والإيحاء بواقعية الشخصية؛ وربما اقترب هذا من مفهوم الحذف الضمني؛ إذ لا يُعلَن فيه عن حجم الفترة الزمنية المحذوفة؛ وإنما يتم الوعي بها عن طريق الاستنتاج. ويلاحظ أن إيقاع السرد جاء سريعًا في قصة لقمان؛" **ولقد آتينا**"،" **وإذ قال لقمان**"؛ وهي سرعة تستهدف الدخول السريع إلى الحوارية؛ وهذا الأداء يوحي بأنها هدف القصة، كما يوعز بأهمية المحاورة، وقيمة مشروعها الدلالي والإيحائي. وقد جاءت الجمل السردية متصدِّرة لقصة لقمان؛ فهي في حيِّز يحتل منطقة محددة من النص السردي؛ وقد جاءت بلون من التتابع؛ وهو مما يجعلها تتجاور وتتلاحق بصورة تستهدف رصد مدى التعانق بين حدث المنح، وحدث الوعظ؛ وهذه السمات أتاحت فرصة للحوار؛ لكي يتحقق له الامتداد المستوعب لبقية النص، وهذا مما يعمِّق قيمة الحوارية، ويتيح فرصة المعايشة الذهنية والروحية الممتدة لموعظة لقمان.

ويلاحظ هنا أن التشكيل الحكائي جاء مضطردًا؛ فهو يخلو من الاستباق القائم على التنبؤ، ويخلو من الارتداد؛ فليس فيه الارتداد من بداية المطلع الحكائي، ولا الارتداد من عمق المتن الحكائي؛ وهو ما حقَّق له البساطة والاستواء في التدفُّق؛ وهذا مما يجعل النص يحقق الوصول السهل والسريع لمضامين الحكاية إلى المتلقي.[52] كما جاء النمط الحكائي نمطًا فرديًّا أُحاديًّا؛ إذ يتناول حدثًا واحدًا، ويعرضه مرة واحدة؛ ومن ثمَّ فهو يخلو من التكرار والإعادة؛ وهذا يوحي بفرادة هذا الحكي، ويشي بنجاح عملية نقل الأحداث، وتحقُّق وصول المشروع الدلالي بأقل تكلفة سردية.

كما يلاحظ أن الحكي هنا جاء بوظيفة آيديولوجية؛ وهذه الوظيفة تخرج عن ثقافة معينة، فلها موقف فكري، ومعتقد معين؛ وهذا اللون من الحكي يتدخل الحاكي فيه بوضوح؛ لتوظيف الحكاية في إنجاح المشروع الرؤيوي للحكي. وقد تحقق لهذا النمط السردي أكثر من مستوى؛ فهو يضمُّ ثلاثة مستويات حكائية؛ تتمثل في رواية الله عن لقمان، والممارسة التي قام بها لقمان، والسرد المتضمن في الوصية؛ وهو ما جعل النص بالغ الخصوبة من الناحية السردية.

ويلاحظ أن هناك تغيرات في المواقع التي يشغلها الراوي؛ فالوظيفة الأساسية له هي السرد؛ والراوي هنا هو الله عز وجل؛ فهو الذي يروي حدث المنح؛ فيقول:" **ولقد آتينا لقمان الحكمة**"؛ وقد جاء الحكي بضمير الأنا الجمعي؛ وصيغة الجمع جاءت لمعنى بلاغي؛ يضفي على الراوي لونًا من الجلال. وضمير الأنا يشي بأن الراوي شخصية رئيسية؛ تصحب

الأحداث المروية بلون من الترافق، كما يحقق هذا الضمير ملمح الواقعية في الأحداث والشخصيات، وبقية المكونات السردية، وتجيء وظيفته البنيوية في الإقناع بواقعية السرد، واكتساب تعاطف المتلقي؛ ومن ثم يحكي الله عن عطائه السخي للقمان.

والراوي هنا داخلي مشارك في الوقائع؛ ومن ثم ينتسب إليه حدث المنح؛ فهو فاعله؛ في حين يتلقى لقمان هذا الحدث؛ فهو في مقام المفعول به؛ ولعل القيمة الفنية في هذا الأداء تكمن في الإيحاء بجلال السرد؛ لأن الله مشارك فيه، كما أنه يشي بخصوصية فعل الإيتاء؛ فهو عطاء إلهي له حظه من الفرادة والقوة، ومن الإيجاب والاكتمال؛ وهذا مما أسهم في تشكيل حالة من التقارب الحميم بين الراوي والشخصية؛ وهو تقارب ناتج عن التأهيل الفريد الذي تمتعت به الشخصية؛ وذلك لامتلاكها لقناعات موجبة، وسلوكيات سوية، كما أنه من ملامح الرضا والحب بين الطرفين. ومجيء الراوي بموقع داخلي مشارك مما يجعل الرؤية داخلية؛ فعملية التبئير من الداخل؛[53] وهذا الموقع يمكِّن الراوي من معرفة كل التفاصيل على أساس حالة القرب في المسافة. والراوي هنا يقوم بالسرد والتبئير معًا؛ ومن ثم فأسلوب السرد هو أسلوب السرد الذاتي؛ فله صيغة تشي بأنه من قبيل السيرة الذاتية؛ وهذا الأسلوب يمتلك إمكانية الانفتاح الشامل على الضمائر كلها؛ فله كفاءة عالية، وخيارات متعددة.

ويلاحظ أن اشتراطات الرؤية السردية الداخلية تقتضي التساوي بين معرفة الراوي، ومعرفة الشخصيات؛ وهذا التصوُّر لا يليق في حق الله. لكن علم السرد يتحدث أحيانًا عن الراوي العليم الذي يتنازل عن علمه. واللافت أن القرآن فيه لمحات عن مثل هذه الفكرة؛ فهو يقول مثلًا: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ [54] ويخاطب عيسى؛ فيقول له: ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [55] فمثل هذا التنازل يجيء لأغراض خاصة، وفي سياقات محددة. والراوي في:" **ولقد آتينا لقمان**" عليم بالضرورة؛ لكن تقديمه بغير هذه السمة جاء لاعتبارات فنية ماثلة في التحليل.

واللافت أن الأداء السردي هنا يتشكل على أساس أن الرؤية من الخلف؛ أي رؤية الراوي العليم؛ وهي رؤية مهيمنة؛ تمنح الراوي قدرة على التدخُّل بالتعليق على السرد، والوصف الخارجي، أو التعليل أو التفسير، والانحياز للشخصيات. والنص السردي هنا تعامل معها على أنها رؤية الراوي العليم؛ فكان تدخُّل الراوي في تفسير الحكمة الممنوحة؛ فقال:" **أنْ اشكر لله**"، وعلَّق على السرد؛ فقال:" **ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه**"، وبدا في السرد مادحًا للقمان، ومنحازًا له، وممجدًا لموقفه؛ ومن ثم تم تكريمه بمنحه الحكمة، واختياره موضوعًا للسرد القرآني بكل سماته الفائضة بالقداسة والخلود. ومن خلال ذلك يتبين موضوع الرؤية السردية؛ إذ يتمثل في حادثة المنح، وشخصية لقمان، والحكمة الموهوبة له.[56]

وتبقى الوظيفة البنيوية للسرد الذاتي هنا ماثلة في الكشف عن البعد النفسي والاجتماعي لشخصية لقمان؛ فهي تعلن عن الكرم الإلهي معه، وتشي بالتأهيل الإنساني الذي امتاز به. والسمة الذاتية في هذا السرد جعلته برؤية أحادية؛ وهذا ملمح لفرادة هذا السرد، كما أنها مؤشر إلى الشفافية. وقد مارس نوعًا من التأويل، ويستهدف التأثير في المروي له، ويتضمن دعوة له إلى الاعتقاد بتلك الرؤية الخاصة.[57] ويبقى المروي له؛ إذ يتحقق معه انفتاح بالغ الاتساع؛ إذ يتمثل في المتلقي، والقارئ، والمجتمع بأسره؛ فهو متلق غير مباشر؛ وهذا هو التصوُّر المعتمد في الجهاز النظري للسرد؛ وهو

تصوُّر يجعل سمة الانفتاح في المتلقي تتوافق مع هدف النص القرآني في المتلقي.

أما المفصل الثاني في سردية لقمان؛ فيتمثل في:" **وإذ قال لقمان لابنه..**"؛ فالراوي لم يتغير؛ فهو الله؛ لكن حدث تغيُّر في موقع الراوي؛ فهو راو خارجي غير مشارك في الأحداث؛ فليس طرفًا في الوقائع المروية؛ وإنما جاء بعيدًا عن الشخصية، ويستهدف تقديمها إلى القارئ؛ لتتم المواجهة بينهما بصورة مباشرة؛ فقد ترك الله رواية الأحداث؛ وربما كانت قيمة هذا الترك كامنة في الإيحاء بأن صناعة القناعة لا بد أن تكون في فضاء حر، وعن معايشة ذاتية، وقرب فعلي، وبدون رقابة أو ضغوط أو إملاءات؛ فتتشكَّل القناعة المثلى الخالية من المجاملة، أو التسليم المشوب بالحياء؛ ومن ثم تتحقق فرصة فاعلة لاكتشاف فرادة الحكمة، وجمال الموقف الأبوي الناصح بأريحية متناهية.

والراوي هنا هو الراوي العليم الذي تفوق معرفته معرفة الشخصيات؛ ومن ثم فرؤيته رؤية خارجية؛ أي أن التبئير خارجي؛ وهذا مما يجعل الرؤية أحادية؛ وهذه الرؤية تشي بالفرادة، وتتسم بالشفافية. وجاء السرد بضمير الغائب العائد على لقمان؛ فهو سرد موضوعي، وضمير الغائب في الرؤية الخارجية يخلق مسافة بين الراوي والمادة السردية؛ وهذا يشكِّل إمكانية لتقديم الأحداث بحسب تسلسلها الخارجي، وعلاقاتها السببية؛[58] فالراوي بضمير الغائب يقدم الأحداث بتسلسل منطقي، وتتابع زمني، ويربط بينها بواو العطف؛ ففعل القول جاء نتيجة لحدث المنح الذي بدا سببًا له، وبرز الواو بلون من الخروج عن العطف إلى كونه أداة لافتتاحية السرد. والراوي العليم له علم مطلق يمكِّنه من التدخل في سرده بالتعليق عليه، والوصف الخارجي، ويقدم مادته المعرفية بنوع من الثقة والفخر، وبدون الكشف عن مصادرها، ولا يلتفت إلى التفسير أو التحليل؛ ويكتفي بالوصف المحايد، ويترك الحرية للقارئ؛ ليفسر أو يؤوِّل ما يُحكى له؛ وهذه هي السمة الموضوعية في هذا السرد، إضافة إلى مجيء الراوي بسمات خاصة؛ تجعله يقترب من الراوي المحايد، أو الراوي الشاهد.

ومع أن الرؤية هنا هي رؤية الراوي العليم؛ فإن الأداء السردي هنا لم تَحْدث فيه تدخُّلات فاعلة للراوي مع كونها مقبولة فنيًّا؛ فلم يحدث سوى تقنية القطع الحكائي التي استهدفت تشكيل قصة ثانية متضمَّنة؛ وهو مما يؤكد أن التدخلات في السرد تظل قليلة القيمة، وذات صيغة خارجية؛ وتُعبِّر عن رؤية صاحب النص؛ لا عن الشخصيات. وقد جاء موضوع الرؤية السردية متمثلًا في شخصية ابن لقمان، ومنجز القول في التعاليم الدينية؛ وهي المتمثلة في الحقوق العامة التي تبرز في أداء الإنسان لحق الله، وحق الذات، وحق الناس.

ولا تخلو مضامين القول عند لقمان من أن تكون مبأرات للرؤية السردية لله؛ بوصفه الراوي الداخلي في استهلالية السرد. ويجيء المروي له هنا مثل نظيره السابق؛ فهو المتلقي غير المباشر؛ فهو مروي له مفتوح. ويلاحظ هنا أنه حدث تنوُّع في موقع الراوي؛ وهذا مما يسهم في تعدُّد الرؤية؛ وهذا التعدد يزيد من ثراء البناء السردي، وينوِّع دلالاته ويلوِّنها. كما حدث مزج بين الأسلوب الذاتي والموضوعي في مفصلي السردية؛ وهذا الأداء السردي أسهم في تحويل الرؤية؛ فقد منحها سمة جديدة؛ فغدت ثنائية؛ فحدث معها لون من التفعيل؛ لأن تعدُّد الرؤية يخلق نوعًا من التوتر لدى المتلقي. كما حدث انسحاب واضح للراوي؛ يهدف إلى تقديم الشخصية لتقول؛ وهي تقنية بوليفونية؛[59] تعلي من قيمة تعدد الأصوات، وفاعلية المشاركة، وتحترم الحرية وتقدِّسها.

ثانيًا: الوصف:

ينظر علم السرد إلى الوصف على أنه أداء فني يلازم السرد، ويرافقه بصورة لا تتخلف؛ وهذا إيحاء بقيمته؛ وهي أهمية تبرز من خلال دوره في العمل السردي؛ فهو ينقل ملامح الشخصيات، وصفات الأماكن والأشياء؛ وهذا مما يجعل له طبيعة مكانية بالغة الأثر؛ كما يمثل الوصف واحدة من مكونات الزمن السردي؛ فهو من تقنيات الحركة السردية المرتبطة بمستوى المدة؛ أي قياس سرعة السرد؛ ومن ثم فالوصف يقوم بإبطاء السرد أو إيقافه؛ فيجعل زمن السرد أصغر بكثير من زمن الحكاية. وللوصف أداءاته اللغوية الخاصة، وله دوره المائز في الخطاب؛ إذ يُغيِّر في وظيفة الراوي والمتقبِّل، وفي نوعية الخطاب وسرعته. ويلاحظ أن قصة لقمان قد أغفلت المكان السردي،[60] وتجاوزت الأشياء، فلم تلتفت إلى المكونات المادية للشخصيات؛ وهذا مما يجعل مجال الوصف غير متوفر في هذا المكوِّنات؛ لكن تبقى الشخصيات والأفعال؛ وقد حظيت بنشاط وصفي؛ له طرائقه الخاصة في خدمة المشروع السردي. فشخصية لقمان تم وصفها بجملة من الصفات؛ فالمعطى السردي يحكي؛ فيقول: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ ؛ وهي جملة سردية تبوح بصفة ضمنية كامنة في لقمان؛ وهي صفة الحكمة؛ وقد تشكلت من خلال فعل الإيتاء المستهدف للحكمة؛ ونتيجة المعطى السردي هو أن لقمان حكيم؛ وهذا الوصف يشكل انطباعًا خاصًا عن لقمان؛ إذ يجعل المتلقي يتوقع أفعالًا وأقوالًا وأحوالًا للشخصية نابعة من أعماق المنطق والعقل، ومفعمة بالخيرية والإيجاب، والاكتمال والسداد.

ويجيء التعبير عن الحكمة بالاسم المعبِّر عن الملازمة الدائمة، والبقاء الثابت؛ وهو مما يكشف عن أن التأهيل الإلهي غير قابل للفساد، أو التحوُّل السالب؛ إذا ما حاز صاحبه ما يعصمه من الحرمان والزوال. وقد أومأ النص إلى لون من تفسير الحكمة؛ فجاءت ماثلة في قيمة الشكر؛ وهو مما يسهم في إنتاج صفة جديدة للقمان؛ تتمثل في كونه شاكرًا. والجملة التعقيبية المتضمِّنة لأسلوب الشرط تبوح بصفة ثالثة؛ وهي أن لقمان نافع لنفسه. وقد انتظمت هذه الصفات في تشكيل عنقودي؛ بهدف الكشف الواضح عن السمات الفريدة للقمان.

وتبرز صفة ضمنية جديدة من خلال بنية سردية أخرى؛ إذ تقول: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴾؛ فجملة:" **وهو يعظه**" جملة حالية، تشكلت في نسق اعتراضي ؛ وهي تبوح بسمة الوعظ ؛ وهي سمة تمنح لقمان صفة التحدُّث، وتشي بامتلاكه لأداء خاص في الحديث؛ يجمع بين الإغراء والزجر؛ كما أنها صفات تتعلق بحدث الوعظ ؛ إذ تبوح بهويته، وسماته الفارقة؛ وهذا مما يجعل التركيب يقدم مشروعًا وصفيًّا مزدوجًا؛ فيصف الشخصية ، ويصف الحدث معًا.

وتظهر للقمان مجموعة من الصفات من خلال الأقوال؛ وهي صفات ضمنية؛ إذ تشي أقواله بأنه شخص موحِّد ، ويؤمن بقدرة الله المطلقة ، ومقيم للصلاة، وآمر بالمعروف، وناه عن المنكر، ومتواضع في سيره، وفي تعامله مع الآخرين. ويلاحظ أن صفات لقمان تشكلت بأداء ضمني؛ إذ يتم استنطاق التراكيب الخاصة بهذه السمات؛ وهذا الأداء يستهدف إحداث لون من المعايشة المتأملة، والتفحُّص القريب لبنية النص ؛ وهو مما يسهم في حدوث متعة الاكتشاف، ودهشة السمة المكتشفة. كما نهضت صفات لقمان من بنى مختلفة؛ فقد برزت من خلال البنية الاسمية، والبنية الفعلية البارزة في مقام الحال؛ وهو تنوُّع يبوح بثراء مصادر الصفات وتعدُّدها. كما

يلاحظ أن الوصف لم يتشكل من خلال صور ساكنة؛ وإنما جاء من خلال الصور السردية المتحركة؛ وهي صور يقوم الراوي فيها بمزج الأسماء بالأوصاف الساكنة، والأفعال المتحركة؛ فالوصف هنا يمتزج بحركة السرد؛ وهي تقنية فنية حديثة؛ إذ لم تتوفر في السرد التقليدي.(61) وقد أسهم الوصف في إيقاف السرد؛ وهو بذلك يتيح فرصة لتأمل سخاء المنح، وقراءة القول الواعظ، وتفحُّص معانيه، وخصائصه النوعية، كما أتاح فرصة التعايش مع مفردات النصح الديني.

أما شخصية الابن؛ فقد تشكَّلت لها بعض الصفات؛ وهي تجيء بصورة ضمنية غالبًا؛ فهو ابن؛ والبنوَّة صفة اجتماعية؛ وهي هنا تقوم بترسيم العلاقة مع لقمان، وتعلن عنها. وله صفة أخرى؛ وهي الصمت؛ وهي صفة ناتجة عن بناء الشخصية؛ وهي تشي بصفات مرافقة؛ مثل حسن الاستماع، والرضا والتسليم؛ وهي صفات ضمنية يتم استنباطها من الموقف. ويلاحظ أن الوصف جاء من النوع البسيط؛ فهو ناجز عن معطى لغوي يتسم بالقِصَر؛ وهذا اللون من الوصف يؤكد دلالاته الخاصة دون تجاوز لها، ويتلاحم مع موصوفاته بقوة. كما جاء الوصف وجيزًا؛ وهذه السمة تجعل الموصوف خافقًا بالحياة، ومفعمًا بالقوة.(62) ويلاحظ أن الوصف جاء بضمير الغائب؛ وهو مما يشي بأن الوصف ينطلق من أسلوب السرد الموضوعي الناجم عن الرؤية الخارجية؛ ومن ثم يتم استهداف الموصوفات بصورة توحي بتوقف حركة السرد؛ وهو مما يحقق لونًا من المطابقة بين زمن السرد، وزمن الحكاية؛ وهذا التطابق يشي بلون من الصدق، ويُعبِّر عن شيء من الأمانة في النقل عن الواقع الإنساني؛ وربما أوحى هذا الأداء بأن النص القرآني هنا يستهدف البوح بهذين المبدأين. كما زاوج الوصف بين السمات التقليدية، والسمات الحداثية؛ هو مما يشكِّل فرادة في التناول، ويمنح النص لونًا من التمرُّد على التصنيف الفني.

وإذا كانت القصة تخلو من المقاطع الخالصة في الوصف؛ فإن الجمل الماثلة في التعقيبات القرآنية لها متعلقاتها الوصفية الخاصة؛ وهي المندغمة في بنيتها التركيبية؛ لكنها تقوم ببعض وظائف الوصف؛ إذ تمارس إعاقة حركة السرد، وتبدِّد سرعته؛ وهو ما يحقق نوعًا من السكون والتوقف. ولعل القيمة العامة لهذا التوقف تكمن في إتاحة فرصة للتأمل؛ فهي آلية لتمكين الوعي من المسار السردي، وما يبثه من دلالات وإيحاءات. كما أن الآليات الباثة للوصف بكل وظائفه تتضمن ألوانًا من البيان والتفسير، والكشف عن السمات النفسية والاجتماعية للشخصيات، والإيحاء بواقعية السرد؛ وهو مما يرفع من درجة القبول له، وتمتلئ بالاشتراطات والاحتراسات الخاصة؛ وهو مما يمثل نوعًا من ترشيد الوعي بمضامين المشروع السردي، والحفاظ على سلامته واكتماله.

ثالثًا: الحوار:

يمثِّل الحوار واحدة من الأدوات القصصية التي لا يكاد يخلو منها عمل سردي ، وهو يستهدف نقل أقوال الشخصيات ؛ وهي عملية نقل حقيقي ؛ لأن الحوار يقوم بإيراد أقوال قيلت على وجه الحقيقة خارج القصة، إضافة إلى أن القصة هنا قصة قرآنية؛ تعتمد على الجانب الحقيقي في التاريخ. ويعدُّ الحوار من الوظائف الأساسية للشخصيات ؛ ومن ثمَّ تختلف سماته الفنية بحسب تكوين الشخصيات ومقوماتها من حيث الثقافة والطبقة ، والدلالة الرمزية ، والوضع النفسي ، وربما السن والنوع ، كما أنه من أخصب التقنيات الفنية التي تسهم في تشكيل السمة الدرامية للعمل السردي؛ إذ يمارس نقل الأقوال، ويقوم بصناعة

المشهد.[63] والحوار في قصة لقمان تم تشكيله بسمات خاصة؛ وكل سمة لها فيوضاتها الإيحائية المختلفة. ويمكن عرضها في النقاط الآتية:

تحديد التراكيب الحوارية:

تستلزم المقاربة التحليلية لبنية الحوار تحديد مواضعه؛ إذ لابد من ضبط مواضع القول في النص؛ وهو إجراء ممكن لوجود علامات دالة عليه؛ وهذه العلامات إما أن تكون علامات سردية تبرز في أفعال القول، وما يجيء في معناه؛ وهي تتشكل بصورة صريحة أو ضمنية، وإما أن تكون علامات شكلية؛ تنتمي إلى علامات الترقيم كالمطَّات أو النقط أو الرموز.

وفي قصة لقمان جاء الحوار بأداء تغيب فيه العلامات الشكلية؛ فجاء متجردًا من العلامات الطباعية؛ فليس فيه علامات تبوح ببدايته، أو تعلن عن نهايته؛ لأن النص القرآني له خصوصية في الرسم؛ إذ لا يتبنى هذه الآلية الفنية في أدائه الكتابي. لكن الحوار هنا يتبنى العلامات السردية والأسلوبية؛ فهناك إعلان صريح عن بداية الحوار، وفيه مؤشر واضح إلى قطعه، وإعلان واضح عن استئنافه؛ فقد بدأ متصلًا بفعل التقديم:" **قال**"؛ وهذا تكنيك قديم ومألوف؛ فهو مطروق بكثافة في الأعمال السردية؛ وقد جاء فعل القول مرَّة واحدة، وبصيغة صريحة؛ وذلك في أول إشارة تعلن افتتاح الحوارية، وقد ارتبط هذا الفعل بلازمة قرآنية تمثلت في التركيب:" **يا بنيَّ**"، ثم بعد ذلك نحا النص نحو تغييب فعل القول، واكتفى باللازمة:" **يا بنيَّ**" التي تحوَّلت إلى مؤشر إلى الوجود الضمني لفعل القول.

وتكررت هذه اللازمة ثلاث مرات، ثم اختفت هي الأخرى من النص؛ لتبرز العلامات الأسلوبية، وتمارس دورها في الإعلان عن مفاصل جمل الحوار؛ فجاءت بدايات الآيات، ومطالع التوجيه بالفعل والترك فيها ايحاءات واضحة وقوية إلى تضمُّنها لفعل القول واللازمة معًا. وهذا الاختفاء مثَّل آلية فاعلة للحذف الذي مكَّن من اختصار البنية اللفظية للنص، وأسهم في تكثيفها واختزالها؛ وهو حذف فني له مبرراته التي تكمن في أن النسق التركيبي لجملة الحوار لا يعيق القارئ في تلقي النص، ولا يسهم في تعثُّر فهم الحوار، واستيعاب مضامينه وأهدافه؛ ويرجع ذلك إلى وجود مفاصل واضحة في تشكيل الجمل الحوارية التي تفوَّه بها لقمان. ولعل الأهم من ذلك هو أن لقمان هو الشخصية الوحيدة التي جاءت ناطقة؛ فليس هناك إمكانية لحدوث تداخلات في الأقوال؛ يمكن أن تؤدي إلى شيء من الغموض أو اللبس، أو نسبة القول إلى غير صاحبه؛ وهذا ما سوَّغ الحذف، وأبرز سمة التكثيف في الحوار، وجعله يمتاز بقيمة فنية عالية الخصوبة.

موقع الحوار:

جاء الحوار في خاتمة القصة؛ وهذا الاختتام به يفيض بدلالات بالغة القيمة؛ إذ يسهم في أن يظل هاجس الحوار عالقًا في ذهن المتلقي؛ لأن تقنية الحوار كانت آخر عهد المتلقي بالقصة؛ وهو ما يمثِّل تفعيلًا لثقافة التفاهم والتواصل؛ ومن ثم يجعل ذات المتلقي مسكونة بمبدأ الحوار؛ وهو مبدأ يفيض بمعاني التعايش والتصالح، والقبول بالآخر.

مساحة الحوار:

مارس الحوار حضورًا فاعلًا جعله يمتدُّ ويطول، ويجيء بهيمنة لافتة؛ ولعل هذا الامتداد في مساحة الحوار إشارة إلى ضرورة أن يحتل الحوار مساحة كبيرة في الحياة؛ وهذا مما يجعل قصة لقمان تستهدف فلسفة الحوار في حد ذاتها؛ أي تركز على القيمة الخاصة للحوار؛ وهي المتمثلة في كون الحوار مؤشرًا للحرية، وآلية للمواجهة والتفاهم، ووسيلة للتشاور والتعايش، وإجراء لصناعة العلاقات، وتحديد المواقف؛

وهذا كله مما يوحي بأن الحياة السوية تقوم على العلاقة لا القطيعة، وعلى التواصل لا الجفوة.

علاقة الحوار بالأدوات السردية الأخرى:

جاء السرد والوصف بلون من الاقتضاب؛ فقد بدأت القصة بالسرد الذي تضمن وصفًا موجزًا، ثم بمجرد الدخول في دائرة الحوار؛ إذا بالحوار يهيمن بصورة لافتة؛ فيمتد ويسترسل حتى آخر القصة، ولا يتوقف تدفقه إلَّا من خلال تقنية القطع الحكائي التي أسهمت في صناعة قصة مضمَّنَة داخل قصة لقمان. فالحوار جاء بدرجة أقوى في الحضور، واحتل مساحة واسعة من النص؛ فقد استوعب أربع آيات من النص؛ وهو امتداد جعل بنية الحوار تفوق بنية المكونات السردية الأخرى؛ وهذا التوزيع له دلالاته؛ إذ يوحي بأن القصة تستهدف بقوة عرض تفوُّهات لقمان، وتركز على ملفوظاته؛ لتكشف عن رؤاه وقناعاته الدينية، وتشي بمدى أهميتها وقيمتها، كما تبوح بدوره الحكيم في إرشاده لولده إلى القيم الإيمانية، والسلوك الديني السوي. كما أن هذا الحجم يمثِّل تأكيدًا على أن الحوار يتميَّز بأنه يفوق الأدوات السردية الأخرى في كونه يمثِّل حقلًا خصيبًا لتشكيل الأفكار، وتحديد المواقف الخاصة بصورة فاعلة في المسار السردي، ولا يخلو من الإيعاز بأن الحوار يمثِّل قيمة إنسانية عليا.

الحوار وإيقاع الخطاب:

تمثل المقاطع الحوارية المواضع الوحيدة في السرد التي يحدث فيها لون من التساوي بين حيز الزمن الذي يستغرقه القول في المغامرة، والحيز الذي يستغرقه في الخطاب؛ وهذا التساوي يشي بأنه ليس هناك اختلال في الحركة؛ ولا تأرجح بين السكون والتحرك؛ وإنما يحدث نوع من التكافؤ الزمني الدافئ؛ وهذا يوحي بأن الحوار ينقل مشروع النص بلون من الالتئام والتوازن؛ وقيمة هذا تتمثل في تشكيل إيقاع متزن للخطاب؛ وهو مما يسهم في إيصال مضامين النصح بلون من الاستواء والدفء والتكامل؛ ويحقق فاعلية التلقي، ويضمن سلامة الوصول للمشروع الدلالي والإيحائي للنص.

وفي الغالب يمثل المشهد الحواري تقنية زمنية تمارس إبطاء السرد عندما يحدث لون من التناوب بين الأسلوب السردي والدرامي؛ لكن الذي حدث هنا هو لون من التعاقب؛ فقد جاء الأداء السردي أولًا، وبعده تم اختتام القصة بالأسلوب الحواري؛ ومع هذا تحققت الوظيفة البنيوية لتقنية الحوار؛ وهي المتمثلة في الكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصيات، كما تم إيقاف السرد بصورة نهائية نظرًا لوظيفة الحوار مع السرد، ولنظام التعاقب الحاصل بينهما.

الحوار وتحولات القول بين الشخصية والراوي:

تمثل سلطة الشخصية في الحوار السلطة الأولى؛ لأن الحوار يقدم المادة القولية بصوت الشخصية؛ وهذا يؤدي إلى تنويع القول، وتباين سماته، وإلى اختلاف الرؤى والقناعات بحسب الشخصيات المتحاورة؛ لكن هذا التنوع في القول لم يحدث في حوارية لقمان؛ لأن شخصية لقمان هي الشخصية المتحدثة فقط؛ وهذا لون يسمى بالصمت في الحوار، وله في السرد الحديث أشكال كثيرة، ووظائف متعددة.[64] فالأداء الحواري جعل مادة الخطاب بنمط موحد؛ ولعل النص القرآني هنا يهدف إلى هذه الصيغة الواحدية؛ على أساس أن وحدة الخطاب تمثل قيمة فاعلة في التوجيه النافع.

أما علاقة الشخصية بالراوي؛ فإن الحوار يغيِّر الوظائف؛ إذ إن للراوي سلطة فاعلة في نقل الأعمال والصفات؛ والحوار يبدد هذه الوظيفة؛ إذ تتم إزاحة الراوي؛ وهذا إلغاء للوساطة بين الشخصيات والمتلقي؛ ومن ثم تمارس الشخصية القول على نحو مباشر،

وبحرية تامة؛ فتختار موضوع القول ولغته وأسلوبه. ولعل هذا الإجراء يبوح بمبادئ مهمة؛ فالتحرر من سلطة الراوي السارد للأحداث؛ يمنح الشخصية حرية القول؛ ومن ثم يعدُّ الحوار عملية تمثيل بالغة الأمانة على أساس أنه يمارس نقل المادة القولية على صورتها الأصلية التي قيلت وَفْقها. ولعل قيمة هذا تكمن في أن الحوار يستهدف إسرار المتلقي ببعض المبادئ المهمة، ويبثُّها إليه بلون من الخفاء الهادف إلى إعلان قيمتها وأهميتها؛ إذ يومئ إلى مبدأ الأمانة، ومبدأ الحرية؛ فانسحاب الراوي هو إتاحة المجال للشخصية؛ لكي تعبِّر عن نفسها بكل شفافية؛ وهذا مما يحقق أمانة البوح، وحرية القول. والراوي هو الله، والأطرف هنا هو أن الله - وهو الله - ينسحب؛ ليدع لقمان يتحدَّث عن نفسه إجلالًا لهذه المبادئ، واحترامًا لقناعات الآخرين ما دامت في دائرة القول الممكن؛ وهو وخز موجع للذوائق المستبدة، وللذوات المملؤة بشهوة القول، والمستأثرة به؛ إذ لا تستملح إلا أن تسمع نفسها، ولا ترغب إلا في هيمنة صوتها فحسب، وإلا فمن أصدق من الله قيلًا؟! ومن أحسن منه حديثًا؟! كما أن غياب الراوي في الحوار يمثل تلاشيًا للرؤية السردية؛ وهو ما يسمى بالتبئير في درجة الصفر؛ لكن يتم التعويض عن ذلك من خلال النظام السردي الذي يقوم بتوظيف شخصية لقمان وموقفها وحوارها للتعبير عن مرادات الله، وتعاليمه الدينية نظرًا لتوافق المشروعين.

الحوار والمتلقي:

يمارس المتلقي عملية تلقي السرد والوصف من الراوي الذي يمثل وسيطًا له رؤيته الخاصة التي تمنحه حرية التصرف فيما يقدِّمه؛ أما تلقي الحوار فيكون من طرف آخر هو الشخصية ذاتها؛ ومن ثم فتعدُّد مواضع الحوار في الخطاب يؤدي إلى تعدُّد نقاط الالتقاء المباشر بين الشخصية والمتلقي؛ لأن الحوار يقوم بإزالة المساحة السردية؛ فيصبح المتلقي أمام مشهد حي تُمثَّل فيه المادة القصصية مباشرة. فالحوار يقدم أقوال الشخصية بدون تدخل الراوي؛ وهذا يُحدِث تغيُّرًا في الرؤية؛ إذ يتم الانتقال من رؤية الراوي العليم أو المحايد أو الموضوعي إلى رؤية خاصة أو نسبية أو ذاتية متعلقة بالشخصية؛ ومن ثم فالحوار من هذا الجانب أداة للتعبير عن اختلاف الرؤى، وتباين المواقف؛ لأن كل شخصية فيه تعبِّر عن نفسها، وأفكارها وأحاسيسها. فالحوار يسهم في عرض الموضوع من زوايا مختلفة، ومن خلال قناعات متباينة، وبلون من الحرية والاستقلال؛ ومن ثم فالحوار يسهم في إحداث تعدُّد في المعنى، وتنوُّع فيه، ويقدم ضمانات حقيقية لسلامة النص من السطحية والفراغ من القيمة.

عناصر الحوار:

يحدِّد علم السرد عددًا من عناصر الحوار، وقد استجاب هذا النص لبعض منها؛ وقد تم رصدها على النحو الآتي:

- **المخاطِب:** هو شخصية تمارس الحوار، وتقوم بالقول؛ وهي هنا شخصية لقمان؛ وقد مارس ظهوره من أول ما أتاح له النص ذلك، وقدَّمه ليقول، وقد حكى النص عن وعظه لولده، ثم قدَّمه ليقول؛ فبدأ يمارس عملية التفوُّه، وينتج ملفوظاته في الوعظ الموجَّه نحو الابن. وقد جاء حضوره بدرجة عالية من الفاعلية؛ إذ يستأثر بمادة القول، ويملك زمام المبادرة في التعبير والبوح؛ وهذه الهيمنة في القول جعلت شخصية لقمان شخصية طاغية في القول؛ وهذا مما يجعلها شخصية محورية، وذات أهمية داخل نسق الحوار، وحتى خارج الحوار. وقد بدت هذه السمة المحورية حتى في منطلقات السرد الماثل في حدث المنح والوعظ.

وقد جاءت أقواله معبِّرة عما يسكنه من تطلعات وشواغل؛ فهو شخصية ملتزمة، ومسكونة بالقيم الدينة؛ فلها شغف بالسلوك الديني، ولها قناعة عالية بمفردات المعتقد الإسلامي. كما جاءت أقواله في الحوار في إطار علاقة اجتماعية؛ فلقمان يمارس الحوار الناصح لولده؛ ومن ثم فالحوار يكشف عن أن لقمان يمارس مهمة الأبوَّة في النصح والتوجيه؛ وهذا مما جعل الحوار يكشف عن أن شواغل لقمان وعلاقته أملت بقيامه بالمبادرة في القول والتوجيه من خلال الحوار.

- **المخاطَب:** هو ابن لقمان؛ وهو متلقي القول أو الحوار؛ وقد جاء مستمعًا وصامتًا؛ وهذا يعني أن حضوره يتقلص بشكل لافت؛ نظرًا لتقلص قيامه بالقول، ووصل إلى درجة الانتفاء الكلي؛ وهي درجة الصفر في الحضور القولي؛ وهي درجة الذروة في الحضور المتلقي للقول؛ فحضوره يزداد مخاطَبًا. لكن هذا لا يقلل من قيمته، ولا يعني ضآلته من حيث الأهمية؛ فهو هدف الحوار، ونقطة وصوله، وبدونه يتبدَّد معنى الحوار، وتفسد فكرته، وتبطل قيمته.

- **الموضوع:** هو غاية القول أو الحوار؛ فهو ما تريده الشخصيات، وتسعى إليه، ومداره المباشر طلب شيء، أو التعبير عن إحساس، أو تقديم رأي في موضوع ما؛ ومن ثم فهو الدال على اهتمامات الشخصيات، والكاشف عن هوية العلاقات القائمة بينها. وموضوع الحوار هنا يتمثَّل في رصد مجموعة من القناعات والممارسات الدينية المهمة؛ فالحوار يؤكد على ضرورة سلامة العقيدة من الشرك والفساد، وينوِّه بقيمة القناعة الإيمانية بقدرة الله في الخلق والحساب، ويستوجب الأداء القويم لفريضة الصلاة، ويعبِّر عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشير إلى فضيلة الصبر على المصاب، ويرشد إلى قيمة التواضع؛ فيبشِّع الكبر في التعامل والمخاطَبة، ويُقبِّح الكبر في المشي والحركة، ويستلزم خفض الصوت، ويُدين الجهر به ويستقبحه. فموضوع الحوار يستهدف تشكيل قناعة إيمانية سليمة؛ وفق اشتراطات التصور الإسلامي، ويرمي إلى تحقيق دافعية للالتزام السلوكي بمجموعة من الممارسات الدينية، ويجيء ذلك على هيئة طلب، ويُتوقَّع معه الاقتناع والتنفيذ، كما أنه يمثِّل تعبيرًا عن إيمان بمفردات هذا الموضوع، وقناعة بها روحيًّا وعمليًّا.

- **مجال الموضوع:** المجال هو الميدان الذي ينتمي إليه الموضوع؛ والمجال هنا هو المجال الديني الإسلامي، وقد تعدَّدت مفردات الموضوع بصورة لافتة، ومع ذلك شكَّلت منظومة واحدة من القيم الدينية المتجانسة؛ وهو مما جعلها وكأنها تخرج من مشكاة واحدة، وتؤسس مشروعًا دينيًّا شديد التلاؤم، بالغ الاكتمال، وقد تشكَّلت بين هذه المفردات مجموعة من الفروق لكنها تنتمي إلى مجال واحد؛ هو المجال الديني الإسلامي؛ فلم يتغير المجال؛ وقيمة التوحُّد في المجال تكمن في الإيحاء بوجود علاقة واحدة ومضطردة بين لقمان وولده، كما توحي بأن الأحداث في المغامرة لها مسار واحد؛ فلها حظها من التنامي والاضطراد؛ فليس هناك بناء عنقودي، فهي وإن جاءت بلون من التعدُّد؛ فهي تخلو من التشعُّب.

- **الكم الكلامي:** يختلف كم الكلام في المشهد الواحد، أو في المشاهد المختلفة للحوار؛ فلا يشترط التساوي في أقوال الشخصيات، وهذا التباين في الحيز النصي لأقوالها مألوف؛ وهو تفاوت يعبِّر عن حالات من الاختلافات بين الشخصيات؛ فمن خلاله يمكن أن تتجلى جملة من السمات المائزة بين الشخصيات. وفي قصة لقمان يجيء مشهد حواري واحد؛ ولقمان فيه هو المتحدث فقط؛ أما الابن فقد انتفى كلامه

تمامًا؛ فقد ظل ساكتًا؛ مما جعل دوره يقتصر على تلقي حوار الأب. ويمكن أن يبوح الكم الكلامي للقمان بسمات عديدة لشخصيته؛ فهو أب؛ ومن ثم يمتلك سلطة الأبوة؛ وهي مقام اجتماعي يمنحه مسئولية التوجيه والإرشاد لابنه. وهو كبير؛ وهذا الامتداد في العمر يمثِّل مؤشرًا للخبرة والوعي؛ وهما ضمان حقيقي لسلامة التوجيه، كما أنه رجل؛ والرجولة مؤشر القوة، والاكتمال في الوعي؛ وهذا مما يوحي بأهمية الوظيفة المسندة إليه في ممارسة توجيه الابن، وهو بالغ التدين؛ وهذا مما يكشف عن هوية الموضوع، ويشي بأهمية الاهتداء الديني، ثم هو حكيم يمتلك الفقه والسداد في مستوى الوعي والسلوك؛ فالحكمة ممكِّنة للشخصية من القول، وتمنحها القدرة الفائقة على التكلُّم. وهذا كله جعل حوار لقمان يتسم بالكثافة والتنوُّع والامتداد.

- نوع الكلام: تحليل نوعية الكلام يستهدف دراسة إحالات الكلام على طبيعة العلاقة بين طرفيه؛ ونوع الكلام في حوار لقمان يدل على سلطة المخاطِب؛ بحكم أبوَّته، ويدل على بروز واجب الأبوَّة، وحضورها الفاعل في حياة الأبناء، وممارستها الحية للتوجيه والتربية والنصح، كما يحيل على رغبة المخاطِب:" **لقمان**" في استقامة المخاطَب:" **الابن**"، وتحقيق التزامه الديني، كما يكشف عن عاطفة رؤوم؛ مملؤة بالحب والعطف؛ وهو مما يشي بوجود عاطفة أبوية سوية تؤهل الابن لقبول المشروع الديني ، والالتزام به من حيث القناعة والسلوك ؛ ومن ثم فقد جاء الحوار فيه تحولات كبيرة في الأداء الكلامي؛ فقد جاء من خلال الأمر والنهي، والتعبير المحايد والتصوير؛ وهذا التنوُّع في الأداء يمثل تغيرًا في أنماط الكلام ؛ وهو يستهدف تحقيق علاقة اجتماعية سوية ودافئة ، وهي علاقة تتميز بالقوة في ظل الإيمان، والأبوَّة الصالحة الحكيمة؛ ولعل في هذا إيحاء بأن سلامة العلاقة الاجتماعية ومتانتها تكون في ظل الالتزام الصحيح بالدين من حيث المعتقد والسلوك، كما أن المؤشرات التعبيرية المتغيرة تؤهل لتحقيق مستوى إيماني له حظُّه من الرسوخ والمتانة في المخاطَب.

- السجل المعجمي: تستهدف المادة المعجمية للحوار الإحالة على ما هو من أمر الحياة اليومية من الأعمال الواقعية؛ فهي تساعد على إبراز الواقع، وتحدِّد موقع الشخصيات منه. وفي حوار لقمان تحيل هذه المادة على منظومة من القناعات التي تمثل جانبًا وجدانيًّا أو فكريًّا كالتوحيد، والاعتقاد الموجب بالله. كما تحيل على مجموعة من الممارسات الدينية؛ وهي واجبات دينية تمارس واقعًا؛ أي لها جانب مادي أو حسي؛ ويجيء أداؤها بحسب اشتراطات الفعل الديني ونظامه ؛ ويستهدف الحوار منها الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والتواضع، والقصد في السير والصوت. وهذا السجل يوحي بأن شخصية لقمان تمارس الجانبين بكفاءة واقتدار؛ وهي ممارسة واقعية؛ في حين أن الابن يَمُرُّ بمرحلة التأهيل لهذا الالتزام؛ ومن ثم يستهدف هذا السجل تفعيل القدرات الذاتية للابن للقيام بالممارسة الدينية بجانبيها: الرؤيوي والعملي.

لغة الحوار:

يَفترِض علم السرد أن للراوي لغته الخاصة به؛ وهي لغة تختلف عن لغة الشخصيات، كما يتوقع أن تَغيُّر الصوت يؤدي إلى تَغيُّر هوية لغة القول، وطرائق الحوار، كما يتوقع تباينًا في طرائق الأداء ؛ ومن ثم فإن لغة الحوار تسهم في إبراز سمات الشخصيات؛ إذ تبوح بذوق الشخصيات وعقلياتها ورؤاها. وفي حوارية لقمان تم نقل لغة لقمان الخاصة إلى لغة القرآن؛ وهي لغة الراوي أو صاحب النص عز وجل؛ لأن القرآن له

نظامه الذي لا يسمح بالنقل النصي لكلام الآخر؛ ومن ثم فلغة لقمان غير متوفرة هنا؛ فاللغة الماثلة في النص هي لغة القرآن وأسلوبه؛ وهذا ما يجعل الخصائص اللغوية لحوار لقمان كامنة في عُمق كلام الله. وبما أن الحوار يمثل النقل الأمين للأقوال؛ فإن الذي حدث هو أن القرآن مارس نقل أفكار لقمان وقناعاته نقلًا بالغ الدقة والأمانة، وحافظ على بلاغته وحكمته وموقفه، ومهارته في التعامل مع الآخرين. وتبقى قيمة هذا الإجراء ماثلة في أن لغة القرآن؛ أو الراوي هي أرقى أداء لغوي يمكن أن يبوح بتلك السمات المتحققة في لقمان، ويعبِّر عنها. كما يمثل هذا الإجراء لونًا من التكريم للقمان؛ فقد صيغت أفكاره، وتم التعبير عن موقفه بلغة خالدة، وفي نص أبدي له حظه الوافر من القداسة والتميُّز؛ وهذا ما يضمن لموقف لقمان تحقق السيرورة والخلود، فضلًا عن أن أقواله قدمت للبشرية بلمسات الربانية، وجلال الألوهية؛ وهو مما يوحي بمدى قيمة أقوال لقمان، وأهمية موقفه.

أسلوب الحوار:

يمثل الأسلوب في الحوار أهمية قد تفوق لغة الحوار؛ لأن الأسلوب السردي الناجح هو كيفية أداء خاصة قادرة على البوح بأشياء بالغة القيمة؛ وهي أشياء تتعلق بالشخصيات، ونوعية العلاقات، والموضوع. وهناك عوامل كثيرة تسهم في تحديد ملامحه الخاصة، وتَعْيين أهدافه ووظائفه. وقد جاء في حوارية لقمان بجملة من السمات التي تشي بدلالات خاصة؛ فقد عمَّق الوعي بالشخصيات، وبالعلاقات الحاصلة بينها، وبالموضوع، كما أسس لدلالات جديدة ذات فضاء دلالي حر.

فقد جاء الحوار بلون من التدفق؛ ففيه إسهاب وغزارة؛ وقد بدا كالفيض الدافق؛ وتدفقه واحد من الإشارات المعبِّرة عن حصول التفاهم بين لقمان وابنه؛ فاسترسال الحوار يكشف عن حالة من التقارب والاتفاق، ويشي بقوة الارتباط الحميم الرؤوم؛ لأن هيمنة الحوار تبدِّد حركة السرد التي تشي بحالة التأزم بين الشخصيات، ووجود ألوان من الاختلاف والجفوة والقطيعة. كما يُعبِّر هذا التدفق عن أن لقمان يتمتع بأبوَّة حقيقية؛ تفيض بالحب، والرغبة في النصح؛ فالأبوَّة الحقيقية عطاء سخي لا حدود له، ومنح دافق كريم لا ينتظر الجزاء، وحب رؤوم لا يعرف الخيانة.

كما جاء الحوار بأسلوب فيه قدر كبير من السلاسة والمرونة؛ وهو مما يكشف عن مهارة في الأداء، وقدرة على إنتاج القول المتلائم من حيث البنية اللفظية والموضوعية. كما جاء أسلوب الحوار رقيقًا؛ إذ يفيض في مطالع الجمل الحوارية باللين والاستعطاف؛ وهو ما يمثل اكتسابًا للمتلقي، وتحبيبًا له بالالتزام بالمفردات الدينية، كما أنه مؤشر الحرص على تقبُّل الابن للأفكار الدينية التي وعظه بها أبوه.

كما جاء أسلوب الحوار على قدر كبير من التدرُّج المنطقي؛ إذ رتَّب الأفكار بحسب الأهمية، ووَفْق أولويات الالتزام الديني ؛ فبدأ بأساس العقيدة؛ وهو التوحيد الخالص ، والوعي بقدرة الله ، ثم يذكر الصلاة بوصفها أهم عبادة ، ثم اختتم الحوار بالسلوكيات الإسلامية والأخلاق المتممة لسلامة المعتقد، وصحة العبادة؛ وهذا الترتيب يشي بأن سلامة القناعة الإيمانية شرط لصحة السلوك الديني ، وقد تكون سببًا له. ولا يقتصر الحوار على تناول اشتراطات دينية بالغة الأهمية ؛ وإنما يستهدف اشتراطات دينية تتسم بالشمول والتنوُّع؛ إذ زاوج مزاوجة دافئة بين مفردات تمثل المعتقد الصحيح، وأخرى تتعلق بالسلوك القويم؛ وهو مما يكشف عن ضرورة التناغم بين القناعة والممارسة؛ وهذا هو الإيمان الحكيم في أبسط مفاهيمه.

كما يلاحظ أن الحوار تتصدَّره لازمة أسلوبية تتكرر مع كل حزمة توجيهات ؛ وتتمثَّل في التركيب: " **يا بنيَّ** "؛ وهي تقنية أسلوبية تمنح الحوار سمة مائزة؛ إذ تفيض بمعاني الحب الرؤوم، والعاطفة الجياشة؛ وهذا الأداء الأسلوبي يبوح بمدى العلاقة السوية، والرابطة الأسرية الدافئة بين لقمان وولده. وهذا الحوار من هذه الناحية الأسلوبية يضاهي حوار إبراهيم مع أبيه(65)؛ فقد تكررت هناك لازمة أسلوبية تمثَّلت في التركيب:" **يا أبَتِ**"؛ وقد تكررت أربع مرات؛ وهي سمة أسلوبية مفعمة بالحب، وممتلئة بالشعور الحنون ؛ مع أنه حوار يسير باتجاه يعاكس مسار حوار لقمان؛ فمع لقمان جاء الحوار متجهًا من الأصل إلى الفرع الساكت في حين جاء مع إبراهيم متَّجهًا من الفرع إلى الأصل الناطق الجاحد.

كما جاء أسلوب الحوار بلون من التنوُّع؛ فقد زاوج بين أساليب متعدِّدة؛ فتبنى أسلوب النهي والأمر والشرط والتصوير. وقد تم توظيف هذه الأساليب بكفاءة عالية؛ فجاءت متناغمة مع تقدم مسار الأقوال؛ ففي البداية تم التعبير عن واجبات دينية ؛ ومعها جاءت أساليب بسيطة؛ فقد تشكلت من خلال أساليب النهي والأمر والشرط ؛ وهي أساليب تتضمن قدرًا كبيرًا من الصراحة والمباشرة ، وفيها سمة البساطة والوضوح ؛ وهذا يشي بالرغبة بتحقيق سرعة الوصول إلى الغاية ، مع تحقق سلامة الوصول بعيدًا عن التأويل ؛ حتى لا يحدث الوقوع في المعاني الجانبية. أما مع الممارسات الأخلاقية ؛ فقد جاء الأسلوب بلون من الكثافة والثراء الفني ؛ وأخصب ما فيه أنه يتبنى آلية التصوير بكيفية بالغة العمق والخصوبة ؛ ففي النهي عن التكبر ؛ يبرز فيه المتكبر كالجمل المريض، وفي الحث على خفض الصوت ؛ جاء الأسلوب مصورًا بشاعة الصوت المرتفع بصوت الحمار؛ وهذا مما جعل الأسلوب هنا بزخم جمالي شديد الكثافة غزير الإيحاء ؛ وهو يستهدف تحبيب المخاطَب والمتلقي في الخلق الحميد، وتنفيرهما من السلوكيات السالبة.

كما جاء الأسلوب بأداء خاص في البنية اللغوية؛ إذ تهيمن في الحوار بنى لغوية ذات طبيعة إحالية؛ وتتلخص في وجود بنى لفظية كثيرة تعود على الله، وتحيل على اليوم الآخر؛ وهذا مما يكشف عن هوية الجانب العقائدي والسلوكي عند لقمان؛ فهو مسكون بمراقبة الله، وتمتلئ نفسه برهبة المآل إليه في الآخرة؛ ومن ثم بدا اليقين واضحًا في صيغ أسلوبية تبوح بنزوح لافت نحو المستقبل الماثل في الآخرة، ولقاء الله؛ وهو نزوح واثق مفعم باليقين بصحة الإيمان، وسلامة السلوك عند لقمان؛ ومن ثم يقرأ روعة المآل الأخروي، ويطمئن إلى حتميته.

وظائف الحوار:

يمارس الحوار في النص السردي وظائف عديدة؛ منها ما يكون داخل النص، ومنها ما يتعلق بخارج النص. والوظائف الداخلية تستهدف الشخصيات والأعمال؛ فمع شخصية لقمان قام الحوار بعرض أقواله، وعمَّق الوعي بالعالم الخارجي الخاص به؛ فقد كشف عن موقفه الديني، وثقافة الالتزام لديه، كما كشف عن عالمه الداخلي؛ فالحوار يبوح بقناعاته الإيمانية، وحبه لولده، وحرصه عليه، كما رصد الحوار السمات الأساسية في لقمان؛ كالحكمة والتدين، والأبوة الحقيقية المحبة لبنوَّتها، والحريصة على استقامتها، كما كشف الحوار عن درجة حضور شخصية لقمان ؛ فصور مدى قوة حضورها ، وترجم فاعليتها، ودورها الحي في القصة. ولا يخلو الحوار من إيحاء بالحضور الخافت لشخصية الابن.

كما أن الحوار أتاح التواصل بين الشخصيتين بدون واسطة؛ وهو مما يجعله تواصلًا حرًّا مفتوحًا؛ فيشكِّل

مواجهة حرَّة؛ على قدر كبير من الأريحية والشفافية. كما أسهم الحوار في تصوير العلاقة بين الشخصيتين وتمتينها؛ فهو يبوح بمدى الوفاق بين لقمان وولده، ويشي بعلاقة حب رؤوم؛ يترجمه النصح الدافق الكريم نحو التصور الموجب، والسلوك القويم. ومع أن سكوت الابن قلَّل من بروز هذه الوظيفة لكنه فتح للمتلقي مجالًا رحبًا للمشاركة في تحديد هوية العلاقة، وتعيين وظيفة الحوار.

فالحوار هنا يستثمر علاقة قديمة؛ وهي علاقة الأبوَّة والبنوَّة بين لقمان وولده؛ وهو مما جعل الحوار يهدف إلى الكشف عن الظرف الاجتماعي بينهما. ومنطق الحوار يقضي بأن هذا الحوار سيسهم في التأثير في الابن؛ ومن ثم سيقوم الحوار بتمتين العلاقة بينه وبين والده، ولعل هوية الموضوع مما يعمِّق هذه العلاقة الاجتماعية؛ فالحوار له منطق سلمي، ومضامينه مفعمة بالخيرية؛ فهي مجموعة من الالتزامات الدينية التي تندغم بقوة في نسق القيم والفضائل؛ وهذا النسق يندر الاختلاف فيه؛ فلا مجال فيه للنقاش؛ حتى إن الرأي التفسيري المرجوح يقرر أن الابن:" عاد وأسلم"؛ وهو تقرير يعزِّز من هوية العلاقة الموجبة التي يشي بها الحوار. وتبرز للحوار عدة وظائف خارجية؛ فله هنا وظيفة تفسيرية لحدث المنح؛ فالحوار من حيث المضامين والموقع والحجم والمساحة والأسلوب يكشف عن حكمة حقيقية، وفِقْه عميق، ويبوح بقناعات مهمة وفاعلة، ويشي بأداء فريد ومثير؛ وهذا كله يعمِّق الوعي بقيمة العطاء الإلهي للقمان، ويكشف عن مدى روعة المنح، ويصور مدى خيريته وفاعليته ورحابته: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [66] كما أن للحوار هنا وظيفة إخبارية؛ تبوح للمتلقي بتفاصيل حدث الوعظ، وتكشف عن مضموناته، وتستهدف الإعلام بقيمة هذه المضامين وصحتها ودقتها، وتشي بمدى إسهامها في بناء الشخصية المخاطَبة والمتلقية من الناحية الفكرية والسلوكية.

خصائص الحوار:

تبرز في هذا الحوار عدة سمات مائزة؛ ومنها:

* لقد تمَّ استهداف الحوار بصورة توحي بأنه المغزى الحقيقي من عرض قصة لقمان؛ ومن ثمَّ فالنص هنا يوظف كل الإمكانات الخاصة للحوار؛ ليقدم المشروع الدلالي إلى المتلقي بزخم خاص؛ فالحوار يحرر السرد من سلطة الحاكي، ويسند الأمر للشخصيات؛ لتبوح بأفكارها على نحو مباشر؛ فيحدث لون من المواجهة المكشوفة بين الشخصيات والمتلقي؛ وهذا يؤدي إلى تعدُّد المعنى، ويقدم أفكار الشخصيات بدون تدخل أو تغيير، وهذا يحقق النقل الأمين والمحايد للمحتوى؛ وهو يؤسس للاحتذاء الواعي بشخصية لقمان.

* كما جاء الحوار من طرف واحد؛ وهو نمط شائع في القرآن؛ فقد جاء مع موسى والناصح له بالخروج من المدينة؛ لحدوث مؤامرة تخطط لقتل موسى؛ فجاء الرجل متحدِّثًا، وكان موسى صامتًا،[67] ومنه حوار الرجل المؤمن في سورة يس؛ فقد جاء متحدِّثًا ناصحًا لقومه الذين لم يرصد القرآن منطوقًا لهم.[68] فالنص القرآني يشي هنا وهناك بأن الناصحين المخلصين، والداعين إلى الإيمان والخير والصلاح؛ هم الذين ينبغي أن يقولوا؛ فالإيمان بكل حيثياته الموجبة لابد أن يكون ناطقًا؛ يوجِّه ويهدي ويبصِّر؛ فإذا ما نطق فلا بد من الاستماع إليه.

* كما أن الحوار يؤدي إلى صناعة موقف بين الشخصيات المتحاورة ؛ وقد أدى هنا إلى لون من التصالح الحميم بين لقمان وولده. وقد بدا الحوار هنا بوظيفة رمزية؛ فقد مثَّل محادثة حقيقية، وتجلَّى بسيطًا من حيث البنية اللفظية؛ لكنه يمتلئ بدلالات شديدة

الكثافة ؛ فهو يبوح برؤاه الذهنية والفلسفية، وفي المقابل لا يقول كثيرًا عن ظروف الشخصية ؛ لأن النص يستهدف البوح بالقناعات الإيمانية لدى لقمان لا بتفاصيل حياته.

* كما أن الحوار هنا جاء حوارًا خارجيًّا:" **ديالوج**"؛ وهو مؤشر إلى سلامة الرؤية، وصحة الوجدان عند هذه الشخصيات؛ وربما يعود السبب إلى أن هذه الشخوص لها قناعة عالية بالمشروع الفكري الذي تحمله، وتؤمن به؛ ومن ثَمَّ تشكَّل لديها تصالح بين الجانب الفكري والنفسي؛ فهي شخوص بسيطة وسوية، وتتمتع بسلامة الجانب الفكري؛ فليس لديها قناعة ملتوية، أو تصور فاسد. كما أنها تتمتع بسلامة الجانب الوجداني؛ فليست مأزومة، ولا تعاني من القهر أو الضغوط، ولا الالتواء النفسي.

* كما يلاحظ أن هذا الحوار من أصعب الحوارات؛ لأنه حوار بين الأجيال؛ فالذوات ينفصل بعضها عن بعض بفاصل زمني يندر أن يقلَّ عن العقدين من الزمان؛ وهذا الامتداد الزمني له دور فاعل في اختلاف الذوائق، وتباين القناعات؛ لأن سمة التغيُّر والامتداد في الزمن تسهم في تحويل تضاريس الفكر والوجدان لدى الإنسان؛ ومن ثَمَّ تحدث غالبًا ألوان من التنافر بين الذوات المتحاورة؛ لصعوبة التفاهم، واختلاف الرؤى. والقرآن يحتفي بهذا اللون من الحوار؛ فقد رصده بين نوح وابنه،[69] وصوَّره بين إبراهيم وأبيه:"عمه"[70] كما قدم أعلى صورة لفشل التصالح بين الأجيال المتباعدة زمنيًّا في تناوله لقصة أصحاب الكهف.

لكن البنية السردية هنا تكشف عن تصالح حميم، وعلاقة دافئة؛ وهذا التصالح تكمن قيمته في إيحائه بأن المشروع الديني الإسلامي بكل حيثياته الإيمانية هو الوحيد القادر على إحداث التصالح بين الأجيال الإنسانية مهما تباعدت بها الأزمان ؛ لأنه مشروع تتفق عليه الذوات البشرية، وتذوب عنده اختلافات التكوينات الفردية للأجيال؛ وهذه هي السمة الحضارية والإنسانية لهذا المشروع؛ وهي سمة تمنحه الخلود، وتجعله صالحًا لكل جيل، ونافعًا لكل بيئة.

بقي القول بأن العمل السردي في الغالب يستهدف تشكيل ثنائيات تقوم على الضدية والتصادم؛ ومن ثم يحدث نوع من التفاعل؛ وهي سمة من سمات الاكتمال والنضج في العمل السردي؛ وفي سردية لقمان تبرز ثنائيات عديدة في مستوييها السرديين؛ ومنها: الإيمان والكفر - المنح والحرمان - النصح والإهمال - الشكر والكفران (مرتان) - القدرة والعجز - البر والعقوق - الصبر والجزع - الالتزام والتمرُّد - الكِبْر والتواضع.

المبحث الثاني:

التشكيل الفني للمكونات السردية في قصة الوصية:

تتكون هذه السردية من مستويين سرديين ؛ ويمكن من خلالهما قراءة المكونات السردية ، ورصد وظائفها البنيوية ، وتتبُّع محمولاتها الفنية والدلالية ؛ وهي تتلخص في الآتي:

المكتوب الأول: سردية الوصية.

تعرضت قصة لقمان للون من القطع الحكائي؛ وقد أسهمت هذه التقنية في تشكيل قصة متضمَّنة داخل قصة لقمان؛ وهي قصة الوصية؛ إذ تحكي وصية الله للإنسان. وهذه التقنية تسمى بالطريقة الإقحامية، أو السرد الدخيل.[71] كما تسمى بما فوق الحكائية ، أو الاندماجية السردية،[72] وقد جعلت قصة لقمان بمفصلين، وجعلتها من السرد الإطار؛ في حين برزت قصة الوصية بصيغة السرد المطمور.[73] وهذه التقنية مألوفة في النص القرآني ، ومطروقة في الأعمال السردية ، ولها وظائف فنية تتحدَّد بحسب التشكيل

الفني للعمل السردي. واستثمار هذه التقنية يعزِّز من الكثافة الفنية للنص، ويبوح بهوية النسيج السردي.

كما أن هذه التقنية تختلف عن تقنية الفجوة في الحكاية؛ والاختلاف يكمن في التشكيل، وفي الأثر الفني المحصود من كل منهما؛ فالفجوة تمثِّل إغفالًا وتجاهلًا لأحداث ومواقف عن قصدية توحي بإمكانية فهم ذلك من الموقف الجديد؛ فهي تعتمد على المتلقي، وتعهد إليه بإملاء تلك الفجوة الحاصلة بين الأحداث. بينما تكنيك الإدراج السردي يمثِّل حالة تشكيل؛ أي إضافة لما يبدو دخيلًا على لحمة العمل السردي؛ فهو عملية إقحام لنص في عمق النسيج السردي.[74] وتبقى مهمة المقاربة البحثية كامنة في تحليل هذا التدخُّل، والكشف عن قيمته الجمالية، وتحديد مدى تصالحه وانسجامه مع النص السردي. وتتحدد هذه التقنية هنا في وصية الله للإنسان بوالديه؛ إذ يقول:

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

لقد جاءت الوصية في عمق حوار لقمان مع ولده؛ ومثَّلت مفصلًا مستقلًا في النص، وانتظمت في آيتين، وهي مساحة نصية كبيرة؛ تحتل المرتبة الثانية بعد سردية لقمان من حيث الحجم. فقد تمَّ استزراع وصية الله في عمق خطاب لقمان لولده؛ فإذا ما جاز التغاضي عن هذه الوصية من الناحية الإجرائية للتحليل الفني؛ فإن الناتج هو ظهور موعظة لقمان بصورة ملتئمة وكاملة، وفي نسق أسلوبي موحَّد.

ولعل القيمة الفنية لهذا القطع تكمن في أن القرآن يستثمر التأثير الوجداني للحكاية بكل استحواذاته الفنية؛ ليقدم وصية الله للإنسان بوالديه؛ فالحكاية تهيمن على وجدان المتلقي ، وتجعله أكثر احتشادًا، وأقوى التفاتًا إلى المحكي؛ وهذا مما يجعل تلقي الوصية يجيء بفاعلية أعلى؛ لأنه حدث لحظة الانشداد الروحي والذهني إلى تلقي حكاية لقمان مع ولده. إضافة إلى أن الوصية تخرج عن النمط التوجيهي المباشر؛ إذ تجيء بزخم حكائي خاص بها ؛ وهذا يقوي درجة التلاؤم بين الوصية وسردية لقمان، كما أنه يمارس تفعيل الجانب الوجداني من جانبه ؛ وهذا مما يصنع وضعية تلقي شديدة التوهُّج، بالغة الانفتاح.

كما أن الوصية تجيء في مطلع الحكاية عن لقمان؛ وهذا استهداف فاعل للافتتاح الحكائي؛ لأن البدايات تمثِّل المراحل المثلى للتوهُّج الوجداني لدى المتلقي؛ إذ يكون في مستوى عال من النشاط الذهني، وفي حالة الذروة من الاحتشاد الروحي؛ وهذا مما يمنح الوصية روعة الاقتحام المنتصر، وقوة الدخول الجسور إلى وجدان المتلقي. وفي المقابل تسهم تقنية القطع الحكائي في تقديم حكاية لقمان بلون من المماطلة؛ إذ يظل المتلقي في ذروة الإثارة والاشتياق لاستكمال ما حدث بين لقمان وولده؛ والمماطلة من أروع الأساليب الفنية في إيصال المشروع الأدبي إلى المتلقي؛ فتقنية القطع مثلت حالة انشداد وجداني مزدوج، وقدمت سردية الوصية وسردية لقمان بألوان من التشويق والإثارة والإمتاع.

كما تبرز قيمة خرق النظام السردي في كونه مسهمًا في إنتاج نظامين سرديين،[75] ولعل قيمة هذا الإنتاج تكمن في تشكيل تخالف في الأداء الفني؛ أو صراع بحسب تودوروف. في حين أن هناك توافقًا في المحصول النهائي للدلالة الناجزة عن هذين النظامين؛ إذ يتحقق تقارب لافت من الناحية الموضوعية بين السرديتين؛ فالحوارية تُمثِّل حالة وعظ صادرة من لقمان إلى ولده ، وتقنية القطع تبوح بوصية الله

للإنسان بوالديه ؛ فالموضوع يكاد يكون واحدًا ؛ وهو موضوع البر الأسري ، وتحديد مسئولية الارتباط العائلي. فهناك لون من التوازي في التوجيه ، وفي مفردات الوعظ والوصية؛ لكن المثير هو طريقة التناول؛ فمضمون الوصية يستهدف تحقيق الموقف الإيجابي في العلاقات الأسرية بين الآباء والأبناء، في حين جاءت حوارية لقمان مع ولده تمثِّل نموذجًا لهذا الموقف السوي في العلاقات الأسرية المنشودة؛ فهي علاقة موجبة؛ لأن لقمان مارس دوره التوجيهي كما تمليه التزامات الأبوَّة؛ ومن ثمَّ يتعمق واجب البنوَّة نحو أبوَّتها؛ وهو ما تبوح به وصية الله للإنسان.

ومع ذلك هناك تباين طريف ؛ فلقمان يمارس بر الأبوَّة بفروعها؛ أما الوصية فتجيء في الاتجاه العكسي؛ إذ تعالج ضرورة التفات البنوَّة إلى أصولها؛ ومن ثمَّ تكتمل دائرة العلاقات الأسرية؛ وهذا التكامل يوحي بأن هناك واجبات ملزمة للطرفين؛ فالمشروع الإيماني في هذه العلاقة يقوم على البر المتبادل، فلا يمكن تحقق الاستواء الأسري في حالة البر من طرف واحد، وإن حدث مثل هذا البر فهو لون من الشذوذ؛ لكن يبقى مشروع المساءلة الدينية قائمًا على سمة التبادل لألوان البر والحب والتقبل بين الأطراف الأسرية، كما توحي به المعالجة القرآنية هنا.

فوصية الله هذه هي الممثِّلة لتقنية القطع الحكائي؛ وقد أسهمت هذه التقنية في تشكيل قصة ثانية؛ وهي قصة متضمَّنة في النظام السردي الأساسي ، وهي تمثل وضعية أخرى للسرد ؛ إي قصة جديدة مستوفية للصيغ الأساسية المفترضة في العمل السردي ؛ وتكمن قيمة هذا التشكيل في كونه يمثل مستوى ثان للسرد؛ إذ يمنح السرد لونًا من التعدُّد ؛ وهو من ملامح الثراء الفني، والخصوبة السردية. كما أن القصة المتضمَّنة كونها قصة ثانية؛ فإن ذلك لا يشي بانعدام القيمة الفنية والدلالية لها، أو يقلِّل منها ؛ فالثراء الفني ، والخصوبة الدلالية فيها أمور واردة. والأمر لا يزيد عن كونه مجرد رسم مواقع ، وتشكيل إبداعي لحدود نظام السرد.

وتبوح هذه التقنية ، والناتج عنها بمفاهيم فنية مهمة في السرد؛ فالقطع الحكائي مؤشر على سمة التصرُّف في الكتابة السردية ؛ فصاحب النص متصرِّف بالضرورة ؛ إذ يأخذ ويترك، ويقدم ويؤخر؛ وهذا ما يجعل السرد يمثل نقلًا لا يتسم بالحياد ؛ لأنه يقوم على الانتقاء والتوظيف. كما تبوح بوجود اختلافات جوهرية بين المغامرة والخطاب؛ فالقطع الحكائي يؤدي إلى كسر خطية الخطاب؛ وهذا يشي بأن الخطية ليست حتمية؛ هذا إن لم تكن غير ممكنة في بعض الأحيان، كما يشي باستحالة التطابق بين المغامرة والخطاب ؛ ومن ثم فإن التشكيل السردي القائم على نظام يختلف على النظام الحاصل في المغامرة يمثل وسيلة فاعلة في جودة الخطاب، وتغيير مدلولاته؛ فاختلاف النظام يؤدي إلى اختلاف المعنى، وتغيُّر التأثير. كما أن هذا الكسر أدى إلى لون من الاستئناف في العملية السردية؛ وهو ما استدعى لوازم أسلوبية تعلن عن ذلك؛ وأبرز ملمحًا خاصًّا في البناء السردي يماثل مناورة الارتداد بكل زخمها الفني.

والتضمين يمثل حالة انتقال سردي ؛ يحدث معه تغيُّر في مستوى السرد ؛ لكن القصة المتضمَّنة لها خصوصية في نظام الراوي والمروي له ؛ إذ قد يحدث التغيُّر، وقد لا يحدث ؛ وفي التضمين الماثل في سردية لقمان لم يحدث تغير ؛ فالراوي هو الله ؛ وهو ذاته الراوي لحدث المنح، والمروي له هو المتلقي للخطاب من لحظة النزول إلى ما بعدها؛ وهذا مما يمثل حفاظًا على عناصر مهمة في السرد؛ وهو حفاظ على السياق العام للمشروع السردي، وتعميق لدرجة الترابط بين المستويين السرديين.

ليس في القصة المتضمَّنة التفات إلى الزمان والمكان؛ وهو ما يعلن عن استهدافها للبوح بمجموعة من القيم والمُثل المجرَّدة؛ وهي قيم صالحة لكل زمان ومكان ولكل ذات، وقابلة للحياة بلون من الامتداد الأفقي والعمودي ؛ إذ تصلح لكل الأجناس الإنسانية المتزامنة ، وتصلح لكل الأجيال البشرية المتعاقبة. وهذه من سمات المشروع الإسلامي وأهدافه.

وتدور قصة الوصية حول حدث واحد ؛ هو حدث الوصية؛ وهو يتشكل بصيغة الماضي الهادفة إلى رفع درجة اليقين في تحققه ؛ ويشي بهوية تاريخية للسرد، كما أن بنيته اللفظية توحي بأنه يمثل ممارسة منتجة للقول ؛ ومن ثم يحكي عن حالة تفوُّه، ويعلن عن مشروع حواري قادم.

تحكي هذه القصة عن وصية الله للإنسان ؛ وهي بذلك تكشف عن شخصيتين مكونتين لآلية السرد ؛ **فالأولى** هي ذات الله؛ وتجيء بصورة تستهدف الوعي بخصائصها المائزة من خلال الإحالة على المشروع الإسلامي في تعريفه بها ، وهي شخصية تعبيرية. **والثانية** هي الإنسان ؛ وهي تبنى بصورة تحيل على الجنس البشري بعمومه؛ لتعلن عن موقف بين الخالق والخلق. وهي شخصية صامتة ، ومتقبِّلة للقول.

وفي الوصية يجيء لون من السرد اللاحق؛ إذ يحيل على مغامرة فائتة؛ يتم استدعاؤها بهدف الإيحاء بقيمتها، وإتاحة فرصة لتأملها. ويتسم الراوي فيه بوجوده في الزمانين: زمن المغامرة، وزمن السرد؛ ويُتوقع حدوث تشكيل للمادة المروية من جهات كثيرة؛ ربما كان الإنسان: المخاطَب والمتلقي له دور فاعل في تحديدها. وهذا المضي يبوح بنوع من درجات اليقين في المضامين السردية، وله هيمنته الخاصة، وتستملحه الذائقة الإنسانية ؛ لأنه يتضمن لونًا من الارتداد التاريخي. وهذا الارتداد يؤمن بقيمة المشروع المستدعى وأهميته، ويجزم بقدرته على تمتين العلاقات الأسرية، وتحقيق بر البنوَّة بأصولها. وبنية الماضي تبوح بهوية بنية الزمن السردي؛ أي الزمنية الداخلية المنتمية للخطاب؛ فبنية الماضي لا تستهدف رصد منجز فائت، وتم تجاوزه؛ بل تبوح بلون من التجدُّد؛ ففعل الوصية يترافق مع الإنسان في شتى الأزمنة والأمكنة، ويتعايش معه إلى آخر الوجود؛ ومن ثم فالنص القرآني لا يستهدف المضي بقدر التأسيس لوضعية مستمرة؛ تتجدَّد فيها الوصية مع الإنسان، وتترافق معه بصورة لا تتوقف؛ وهذه هي الزمنية الحقيقية لهذا الحدث السردي؛ فهي زمنية نابعة من سياقه البنيوي؛ لا من قالبه الصرفي.

وزمن السرد هنا زمن تاريخي اجتماعي ، يرتبط بالسرد التقليدي، والنمط الذاتي منه؛ ومع أنه تم افتتاح السرد ببنية الماضي ؛ وهي تشي بلون من الاسترجاع؛ لكنه مفعم بالغموض ؛ لأن مداه مفتوح ، ولا يمكن قياسه. ويتسم السرد هنا بكونه على درجة كبيرة من السرعة؛ وسرعته تستهدف الدخول السريع إلى الحوارية؛ وهي تتضمن المشروع التفصيلي لحدث الوصية من خلال مفردات التعاليم الموجهة إلى الإنسان. وهو مما يشي بأنها هدف القصة؛ ومن ثم فالسرد يتناول حدثًا واحدًا، ويعرضه مرة واحدة؛ وهو حدث الوصية؛ وهي أقل بنية سردية ممكنة؛ ومن ثم فهو نمط من السرد الأحادي؛ يخلو من التكرار والإعادة ؛ وربما أوحى ذلك بمدى فرادة الحكي ، وأومأ إلى مدى نجاح عملية نقل الأحداث، وايصال دلالاتها بفاعلية وكفاءة ؛ وهذا الانفراد يوحي بقيمة الوصية، واستحقاقها لهذه العملية السردية. ويجيء السرد في صدر النص؛ فيحتل مساحة محدَّدة؛ وهو بذلك يُعدُّ فاتحة شهية للمعالجة ، ومُضة تحقق الدهشة والإمتاع. ويتمتع السرد هنا بالاضطراد ؛ إذ يخلو من الاستباق والارتداد ؛ وهذا مما يمنحه البساطة، والاستواء

في التدفق.[76] وللسرد هنا وظيفة آيديولوجية ؛ نابعة من ثقافة معينة ؛ ومن ثم يتدخل فيه الراوي؛ ليوظف الحكاية في خدمة المضامين الدينية الخاصة به ، وايصالها الحي إلى المتلقي.

يحكي الله هنا عن وصيته للإنسان؛ فالراوي هنا هو الله؛ وقد جاء بضمير الأنا الجمعي؛ وهذا الضمير يشي بأن الشخصية رئيسية؛ تصحب الأحداث، وتترافق مع الشخصيات، والوظيفة البنيوية لهذا الضمير تكمن في أنه يحقق ملمح الواقعية في كل المكونات السردية؛ فيقنع المتلقي بتلك السمة، ويكسب تعاطفه مع منطق السرد ومضامينه. والراوي هنا داخلي مشارك في الوقائع؛ فهو الفاعل الداخلي لفعل الوصية. وشخصية الإنسان تتلقى حدث الوصية؛ وكون الله فاعلًا فذلك يمنح الحدث قيمة عليا، وألوانًا من الفرادة والقداسة، ومن خلال فعل الوصية الفائض بالنصح الحميم يمكن التوقع بإمكانية حدوث علاقة حميمة بين الراوي والشخصية. وبما أن الراوي داخلي مشارك؛ فإن ذلك يجعل الرؤية داخلية؛ فتكون عملية التبئير من الداخل. وموقع الراوي يمكِّنه من معرفة أشياء كثيرة بحكم قرب المسافة في موقعه؛ ومن ثم فهو يقوم بوظيفة السرد والتبئير معًا؛ ونتيجة لذلك فإن أسلوب السرد أسلوب ذاتي.

ومع أن الرؤية السردية الداخلية تقتضي التساوي بين معرفة الراوي والشخصيات؛ فإن الأداء السردي تعامل مع هذه الرؤية على أساس أنها من الخلف؛ فهي رؤية الراوي العليم؛ وهي رؤية مهيمنة تمكِّن الراوي من التدخُّلات الكثيرة في السرد؛ ومن ثم فقد تدخل الراوي فقطع تسلسل السرد من خلال إدخال سردية الحمل في عمق سردية الوصية، وقام بالتعليل الكاشف عن سبب الوصية؛ فقال:" **حملته أُمُّه** .."، وقام بتفصيل حيثيات الوصية من خلال المقطع الحواري. ومن ذلك كله يتضح أن موضوع الرؤية السردية هو حدث الوصية، وشخصية الإنسان، ومجموعة التعاليم الدينية الماثلة في المشهد الحواري. وتكمن الوظيفة البنيوية للأسلوب الذاتي في الكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصيات؛ ومن ثم فهو يبوح بحب الله للإنسان، وحرصه عليه؛ إذ وصَّاه بما ينفعه. ويرصد العلاقة الاجتماعية؛ إذ تتحدث الوصية عن الإنسان وعلاقته بأصوله. وهذه السمة الذاتية تجعل الرؤية أحادية؛ وهذا هو ملمح الفرادة والشفافية. ويبقى المروي له متمثلًا في المتلقي بصورته العامة والمفتوحة من اللحظة الأولى لتلقي الخطاب إلى ما بعدها.

يكاد يخلو النظام السردي في قصة الوصية من الوصف؛ لكنه يتضمَّن إجراء فنيًّا يقوم بدور الوصف؛ إذ تخضع هذه السردية للون من القطع الحكائي؛ وتمثله سردية الحمل والفصال، وتتكون من تركيبين؛ ويقومان بوظيفة البوح بسبب الوصية؛ وهو ما يمنحها منطقًا للقبول، كما يمارسان لونًا من إيقاف سرعة السرد؛ وهي وظيفة الوصف في الأداء السردي. وهو توقُّف يهب المتلقي فرصة لتأمل السرد الفائت، وتوقع هوية السرد اللاحق، ويسهم في تشكيل لون من العلاقات بين الشخصيات.

في سردية الوصية يجيء الحوار بصورة خفية؛ إذ تشي به البنية اللغوية للوصية؛ فهي تومئ إلى حدوث نوع من الحوار، وإلى ذات خاصة تنتجه، وذات محددة تتقبَّله. وهو حوار يخلو من العلامات الكتابية والسردية؛ وهذا ما يجعله أكثر ضمنية وخفاء من نظيره الحاصل بين لقمان وولده. وتجيء ذات الله فيه المخاطِب، والإنسان هو المخاطَب؛ فالله يمارس الحوار التوجيهي، ويستأثر به، ويهيمن على الموقف. والإنسان يجيء صامتًا ومستمعًا للقول؛ فحضوره

حضور المتلقي للقول. ويتشكل الحوار في إطار علاقة الربوبية والعبودية؛ ليعبِّر عن بعض مرادات الله التي ينبغي أن يقوم بها العبد، وتتحقق فيه.

ويتشكل الحوار بامتداد يفوق مساحة السرد والوصف؛ وهذا إيحاء بقيمة الحوار من الناحية الإجرائية، ودلالته على الحرية والأمانة، وتقديمه للمشروع الدلالي بلون من التناغم؛ فليس فيه إخلال في الحركة والسكون، وتتحول فيه الرؤية إلى رؤية ذاتية. كما توحَّد فيه المجال والموضوع؛ فالمجال هو المجال الديني، والموضوع هو اجتماعي أسري؛ يستهدف ضبط علاقة الإنسان بربه وأصوله بمعايير دينية واضحة؛ إذ تستوجب الشكر لله وللوالدين، وتؤسس لرفض طاعة الأبوَّة الداعية إلى الشرك، وتستلزم المصاحبة لها بالمعروف، وتشترط اتباع سبيل التائبين إلى الله؛ وهي مفردات تجيء على هيئة إرشادات بصيغة الطلب؛ ومن ثم فإن السجل المعجمي لها يحيل عليها بوصفها مجموعة من التعاليم التي ينبغي أن تتحول إلى سلوك.

وجاء الحوار بلون من التدفق؛ وهو مما يكشف عن سخاء إلهي في النصح، ورغبة في استيفاء حيثيات الموضوع وتفاصيله؛ وهي رغبة في تحقق الالتزام الواعي بها. وهو حوار خارجي؛ إذ يشي بأنه بوح صريح، يمتلئ بالثقة، وسلامة الوجدان؛ ومن ثم يمارس الإعلان عن محتواه بقوة وجراءة. وجاء من طرف واحد؛ فلم يحدث فيه تحولات في القول؛ لأن المتحدث هو الله فقط؛ وهذا يجعل مصدر التوجيه واحدًا؛ وهو أدعى للالتئام والسلامة. وتهيمن في الحوار لغة الراوي وأسلوبه؛ فهي لغة القرآن؛ وهي لغة ذات إحالات عديدة؛ إذ تمتلئ بالإيعاز بضرورة مراقبة الله، والتنبُّه للمآل في اليوم الآخر. وجاء الأسلوب بلون من التنوُّع؛ إذ يمازج بين الأمر والنهي والشرط. وفيه تدرج في الموضوع؛ فقد نصَّ على حق الله، ثم حق الوالدين، وأومأ إلى حق الذات. وجاء الحوار بوظيفة خارجية أكثر منها وظيفة داخلية؛ فله وظيفة إخبارية؛ إذ يبوح بتفاصيل حدث الوصية، ويشي بقيمة الإرشاد الديني الكامن فيها. واحتل الحوار مساحة واسعة من القصة؛ وهو امتداد يشي بأن الحوار هدف القصة، ويشي بقيمة الحوار في صناعة الفكرة، وتشكيل الموقف، وأنه أسلوب حضاري ينبغي أن يمارس في الحياة بلون من الاضطراد.

وقد أسهم الأداء السردي في هذه السردية بتشكيل عدد من الثنائيات المُعبِّرة عن اكتماله الفني؛ وتتمثل في: النصح والترك - البر والعقوق - الشكر والنكران - الطاعة والعصيان - الشرك والتوحيد - الصلة والقطيعة - الالتزام والتمرد.

المكتوب الثاني: الأداء السردي في الحمل والفصال.

يتشكَّل هذا الأداء السردي في قول الله: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾. وتمثل البنية اللغوية للحمل والفصال جملة اعتراضية داخل سردية الوصية؛ وهي تقوم بوظيفة تفسيرية؛ إذ تعلِّل لحدث الوصية، وتؤسس لمنطقيته. وهي تمثل أدائية حكائية جديدة، ومتضمَّنة داخل حكاية الوصية؛ ومن ثم فإن قصة الوصية يحدث فيها لون من القطع الحكائي مثل الذي مارسته قصة الوصية في قصة لقمان؛ وتبقى وظيفة القطع الحكائي هنا مسهمة في تشكيل مستوى ثان من السرد؛ له نظامه الخاص؛ إذ يستوفي معظم المكونات السردية؛ ولا ينفرد إلا بكونه يخلو من الحوار. وهذا مما يمنح السرد هنا لونًا من التعدُّد في الأنماط، ويشي بأن النص يتضمن عمليات سردية بالغة الكثافة، شديدة التداخل.

ويشهد الأداء السردي في الحمل والفصال تحولات واضحة في المكونات السردية؛ فهو يمثل أدائية

خاصة تتعامل مع فضاء السرد بشيء من الاختلاف؛ إذ لا تلتفت إلى المكان، وتهمل أشكالًا كثيرة للزمان؛ لكنها تتفرَّد بذكر زمن الحدث؛ إذ استهدفت تزمين الحدث الضمني الماثل في بنية الفصال؛ فهي تحدِّده بعامين؛ وهو تزمين يشي بملمح الامتداد للفعل، ويومئ إلى مدى المعاناة والتضحية التي تبذلها الأمومة من أجل بنوَّتها؛ وهو مما يعزز من فرادة موقفها، ويعمق فضلها، ويحقق استمالة البنوَّة إلى برِّها والاحتفاء الرؤوم بها.

ومن حيث الأحداث يتكون هذا الأداء السردي من حدثين هما: حدث الحمل، وحدث الفصال؛ وهذا ملمح للتعدُّد، ومؤشر للخصوبة السردية. وقد تم تشكيلهما بصور مختلفة؛ فحدث الحمل يتجلى في بنية فعلية صريحة، وحدث الفصال يبرز من خلال معطى اسمي، ويحيل على حدثين متلاحقين هما: حدث الإرضاع، وحدث الفطام؛ وهذا تنوُّع آخر يسهم في إثراء النص من الناحية الدلالية والسردية. فالأول مفعم باليقين والتأكيد؛ لأنه الأهم للبنوَّة، والأخطر على الأمومة؛ وهو يؤسس لقيمة أقل للأحداث الأخرى، ويوعز بإمكانية الإخلال فيها من حيث الأداء والتزمين. والنص ينسب الأحداث كلها للأم؛ وهو استهداف لخصوصية الأمومة، والتفات إلى قيمة دورها الخاص والمضاعف في حياة البنوَّة التي تتلقى تلك الأحداث؛ إذ تجيء في مقام المفعولية؛ وهذه المقامات تعزز من الوعي بدور الأمومة، وعطائها الكريم، وتبوح بحالة الأخذ والانتفاع التي تمارسها البنوَّة؛ وهو مما يشي بمدى قيمة دور الأمومة في تحقيق وجود البنوَّة، وتوفير سلامة البقاء لها.

وتتلاحق الأحداث بصورة تنسجم مع الواقع الحسي؛ وهو مما يمنحها لونًا من المنطق؛ وهو وسيلة للإقناع بالعطاء المستمر، والتضحية الممتدة بصورة منطقية؛ ويشي بمدى الترابط بينها، ويوحي بقيمة حقيقية لها. ويستهدف إقناع البنوَّة بفضل الأمومة، وإقرارها بفرادة العناء والجهد الذي تمارسه الأمومة نحوها. وتتشكل هذه الأحداث في سياق تفسيري لحدث الوصية في السردية التي احتضنتها؛ وهذا مما يحقق قوة التلاحم بين السرديتين، ويعلل للتوجيه بالاحتفاء بالأصول. وتسهم هذه الأحداث في صناعة لون من العلاقات بين الشخصيات ؛ فهي تشي بمدى الحب والعطف الممنوحين للبنوَّة ، وتستهدف تشكيل عاطفة مماثلة في البنوَّة تجاه الأمومة؛ وهو ما يُحدث نوعًا من التجانس في العلاقات ، ويصبغها بالحب والتصالح، والارتباط الحميم.

وقد جاء البناء السردي هنا بشخصيتين فقط؛ وهما شخصية الأم، وشخصية الإنسان:" الابن"؛ وهو عدد قليل من الشخصيات؛ يشي بمدى البساطة في الناتج السردي هنا؛ إذ تؤدي قلة الشخصيات إلى قلة الأحداث في الغالب؛ كما يؤدي إلى انحصار في العلاقات؛ وهو ما يشكل ملمح البساطة الذي يبدو هدفًا للقصة؛ إذ يروم حيازة أهدافها بلون من اليسر.

ويبوح الأداء السردي بمجموعة من السمات الخاصة بشخصية الأم؛ ومنها: الأنوثة؛ وهي سمة تفيض باللين والضعف، وتبرز هوية خاصة للناتج الحدثي عنها؛ وربما تشكلت مفارقة بين حالة الضعف، وحالة تحمل عناء الحمل والفطام؛ وهو مما يشي بمدى التضحية التي تقدمها لبنوَّتها. وتجيء الأمومة بلون من العموم؛ إذ تحيل على الجنس البشري كله؛ وهذا مما يمنح سمة العموم لكل المكونات السردية الماثلة في الحمل والفطام، ومتعلقاتهما الوصفية والتزمينية؛ فهي تتعلق بكل أم.

وجاءت هذه الشخصية بسمة اجتماعية؛ فالأمومة تمارس أوجاعًا شديدة الفرادة من أجل بنوَّتها؛ وفي

مراحل متعددة، وأزمنة ممتدة؛ ومن ثم فهي قيمة رمزية للوجدان الرؤوم، والتضحية السخية. كما تشي القصة بملمح الكِبَر والنضج؛ وهي سمة تومئ إلى واجب الصغير نحو الكبير؛ وهذا مما يزيد من قيمة الأصول، وأهمية حقوقها. وتجيء هذه الشخصية في مقام الفاعل؛ فهي تمارس أحداث القصة كلها؛ فهي منتج مهيمن للأحداث، ولها استحواذ قوي على الممارسة؛ إذ تختزل الحدث وتحتكره؛ فهي تقوم بوظائف فعلية؛ تمنح الشخصية سمة التأثير والفاعلية؛ وهذا مما يجعلها شخصية محورية. كما تجيء شخصية صامتة؛ وهذا يشي بانحصار دورها في صناعة الأحداث؛ وربما أوحى ذلك بأن الممارسة أقوى دليلًا من القول على الحب والتضحية.

أما شخصية الإنسان فقد تم تقديمها بالضمير العائد على الإنسان المتلقي لوصية الله في سردية الوصية؛ ولعل في ذلك إيماءة إلى نوعية وجود البنوَّة في مقام الأمومة؛ فوجودها المثالي يكمن في لون من التواضع والخفاء؛ وذلك على المستوى الحسي والقيمي؛ إذ تكاد البنوَّة أن تكون متعلِّقًا للأمومة. وهي تجيء بالصفات؛ فهي إنسان وابن؛ والأولى تكشف هوية الجنس؛ والثانية تبوح بوضعية اجتماعية؛ وكلتاهما تفيض بالعموم؛ فهي شخصية تحيل على بنوَّة مطلقة، تستوعب الجنس الإنساني بشقيه؛ فهي صفات محملة بالعموم، وفائضة بالشمول. كما تجيء شخصية متقبِّلة لأعمال الحمل والفصال؛ فهي لم تمارس غير ذلك لا في الفعل ولا في القول ؛ ومع ذلك تمثل طرفًا مهمًّا في الأداء السردي؛ لأن مسار الأحداث يتَّجه نحوها؛ وهذا ما يجعلها شخصية رئيسية.

ويلاحظ على بناء الشخصيات هنا الآتي:

– جاءت هذه الشخصيات بدون تسميات؛ وهذا مما جعلها ذواتًا تمثل مقامات إنسانية مطلقة؛ وهي مقامات الأمومة والبنوَّة في إطار الجنس الإنساني؛ ومن ثم فهي تمثل العنصر الإنساني كله؛ وهذا مما يجعل الأداء السردي ينفتح كأوسع ما يكون الانفتاح على الذوات البشرية؛ فهي أعلى من النموذج في القيمة؛ وهذا مما يجعل الوصية تستهدف جنس الإنسان بعموم لا يستثني أحدًا. وفي هذا إشارة إلى أن الخطاب القرآني يحمل مشروعًا للإنسانية كلها بدون استثناء.

– وجاءت هذه الشخصيات صامتة؛ وصمت الأم أدى إلى التركيز على الأفعال؛ والممارسة أقوى من القول، وأدل منه على التضحية والعطاء. وصمت الابن يشي بأن السلوك المطلوب يتحدَّد في الأساس على الممارسة؛ لأنها أدل على البر، ومقابلة الإحسان بالإحسان؛ وإن كان الناتج القولي البار لا يخرج عن كونه ممارسة.

– جاءت هذه الشخصيات بدون مرجعيات؛ وإنما تحظى بلون من العموم؛ فهي صالحة لكل زمان ومكان، ويتحقق لها البعد التاريخي، والبعد المستقبلي؛ وهذا يمثل لونًا من الانفتاح الفاعل على مستوى المرجعية.

– وقد تم بناء الشخصيات بصورة تعتمد على التقاط سمات ذات نتائج موحَّدة؛ فمع شخصية الأم يتم استهداف النشاط الفعلي الماثل في أحداث معينة، ومع شخصية الإنسان:" الابن" تحققت سمة التقبُّل المصحوب بالصمت؛ وقد أدت هذه السمات إلى خلو الأداء السردي من الحوار. كما بُنيت هذه الشخصيات بلون من التنوُّع؛ فجاءت شخصية الأم منتجة للأحداث المختلفة؛ وهو مما يشي بسخاء الأمومة، وتعدُّد ممارستها النافعة للبنوَّة. وجاءت شخصية الابن متقبلة للأحداث؛ وهو مما يوحي بمدى اعتمادها على أمومتها.

ومن حيث الأداء السردي فإن هذا الأداء يمثِّل مستوى

ثان من السرد ؛ لأنه تم استحداثه داخل نسيج سردية الوصية؛ وهذا مما يشي بمدى كثافة الأداء السردي وخصوبته. ويجيء التشكيل السردي هنا من خلال بنية الماضي ؛ وهي صيغة تبوح بالتأكيد على المعطيات السردية، وتفعِّل اليقين بقيمتها. كما أنها تشي بحالة استدعاء للفائت بهدف إعادة العرض الذي يؤهل للتأمل؛ وهو إجراء يؤمن بقيمة المشروع المستدعى، ويعلن عن أهميته، ويجزم بقدرته على تحقيق النفع، واستشعار دور الأمومة بكل خصائصه. كما أنها تجعل السرد هنا مسكونًا بسمات السرد اللاحق الذي يشي بأن الأحداث وردت بعد زمن المغامرة؛ ولعل هذا الأداء يستهدف توظيف زخم الماضي بكل هيمناته المستحوذة على وجدان المتلقي؛ وصيغة الماضي تبوح بالبنية الزمنية الداخلية للسرد؛ فهي لا ترصد أحداثًا فائتة فحسب؛ بل تحيل على لون من التجدُّد؛ ففعل الحمل والفصال يتكرر بصورة لا تكاد تنقطع، والنص القرآني لا يستهدف المضي بقدر ما يرصد القيمة المتجدِّدة للأحداث، والبعد المتنامي للتوجيه القرآني ؛ وهذا مما يؤكد أن زمنية الفعل تبرز من سياقه البنيوي ؛ ومن ثم فإن السرد هنا يعرض لأحداث تترافق مع الإنسانية بصورة لا تكاد تتخلف؛ فهي ماضية، وحاضرة ومستقبلة ؛ وهي تتفق مع سمات الراوي؛ إذ يمتلك الوجود الدائم الذي يفوق زمن المغامرة، وزمن السرد. فالأداء السردي يعرض هنا أحداثًا مكرورة، وبخصائص تكاد تكون واحدة؛ ومن ثم فمهما حدثت من فروق بين زمن المغامرة ، وزمن السرد؛ فإن دور الراوي في تكييف المادة المروية يكاد يكون منعدمًا. فزمن السرد هنا تاريخي اجتماعي؛ ومن ثم له منطقه في تسلسل الأحداث، ويوظف ضمير الغائب؛ ليوحي بواقعية السرد بكل مكوناته، ومعه يبرز تطابق في ترتيب الأحداث في زمن الحكاية، وزمن السرد.

وافتتاح السرد ببنية الماضي يشي بلون من الاسترجاع؛ لكنه يتسم بالغموض؛ لأن مداه مفتوح، ويتعذر قياسه. وقد حدث في الأداء السردي لون من التلخيص لحدث الحمل والفصال؛ فقد تم إغفال تفاصيل كثيرة، وتم حذف مدة الحمل، وتجاوز حدث الإرضاع؛ وهذه الإجراءات تعتمد على المعرفة الإنسانية؛ فمدة الحمل معروفة، وتفاصيلها تكاد تكون متشابهة، والالتفات إلى الفصال فيه إيماء إلى فعل الإرضاع ومدته. وتبقى الوظيفة البنيوية لهذا كله تتلخص في تسريع حركة السرد.

كما جاء السرد بإيقاع سريع للغاية؛ إذ ينتظم الأداء السردي في ثمان كلمات؛ وهو أداء سردي بالغ التركيز، شديد السرعة؛ ولعل مما أسهم في ذلك هو أن السرد هنا جاء مكملًا لسردية الوصية؛ ومن ثم فإن بقية المكونات السردية قد برزت هناك. وقد جاءت الجمل السردية بقدر يقترب من نصف البنى المكوِّنة للأداء السردي؛ وقد تم توزيعها على أكثر من مساحة سردية؛ فقد جاءت متصدرة لمفاصل السرد، وحظيت بتتابع منطقي يبوح بمدى التلاحم بين الأحداث؛ وهو مما يشي بمتانة السرد والتئامه. وقد جاء السرد مضطردًا؛ إذ يتنامى بلون من الالتئام والتدفق؛ وهو ما يجعله يحقق وصولًا سريعًا وسهلًا لمضامين الحكاية إلى المتلقي. وتناول السرد أكثر من حدث؛ فقد زاوج بين الأحداث؛ إذ ينقل حدثين مترابطين من الناحية الحسية غالبًا، وقد جاور بينهما بأدائية سردية حافظت على سماته المادية في التتابع؛ وهذا ملمح من ملامح المنطق المؤهِّل للإقناع والتقبُّل. وجاء السرد بنمط فردي أحادي؛ فهو يتناول حدثًا واحدًا، ويعرضه مرة واحدة؛ فهو يخلو من التكرار؛ وهذا مما يشي بفرادة السرد، وكفاءته في نقل الأحداث، وإيصال

دلالاتها. وجاء السرد هنا بوظيفة آيديولوجية؛ فله غايات نابعة من معتقد ديني إسلامي؛ وهي تستهدف البوح بقداسة دور الأمومة؛ وهو بوح يرمي إلى إحداث تعاطف فاعل للبنوَّة مع أمومتها؛ إذ توعز بوجوب البر والإحسان والحب.

ومع أن بنية هذا الأداء السردي كلها تمثل جملة اعتراضية تفسيرية في سردية الوصية؛ فقد تضمنت تحوُّلات مهمة في بعض المكونات السردية ؛ فهي تحتفظ بهوية الراوي ؛ لكن يتغير موقعه؛ وهو موقع يحاكي نظيره في المفصل الثاني من سردية لقمان؛ فهو هنا راو خارجي غير مشارك؛ فليس طرفًا في الأحداث المروية؛ فهو بعيد عن الشخصيات؛ ومن ثم فالشخصيات هي مدار الأحداث؛ فالأم تمارس الحمل والفطام؛ وهو مقام الفاعل المنتِج للممارسة ، والابن يتلقى تلك الأحداث؛ فهو في مقام المفعول به. وقيمة هذا الأداء تكمن في أنه يُحدِث نوعًا من المواجهة المباشرة بين الشخصيات والمتلقي؛ وهو لون من تمكين المتلقي من الاقتناع الحر بقيمة دور الأمومة، واليقين في استحقاقها للبر الرؤوم.

والراوي هنا هو الراوي العليم؛ ومن ثم فرؤيته رؤية خارجية؛ أي إن التبئير خارجي؛ وهذا مما يجعل الرؤية أحادية لها حظُّها من الفرادة والشفافية. وقد جاء السرد بضمير الغائب العائد على الأم، وارتبط بضمير الابن؛ أي الإنسان؛ وهذا الضمير يُحْدِث مساحة بين الراوي ومساراته السردية؛ وهو مما يسمح بتقديم الأحداث بتسلسل منطقي؛ ومن ثم فقد جاءت الأحداث مُرتَّبة بحسب التتابع الحسي؛ فجاء حدث الحمل أولًا، ثم حدث الفصال المتضمن لحدث الإرضاع ومدته، وهو يربط بين الأحداث بواو العطف؛ ليعمِّق ملمح التعاقب، ويعزز من واقعية الأحداث. ويلاحظ أن الراوي يقدم مادته السردية بلون من الموضوعية؛ فهو يتحدث بضمير الغائب، ويصف من الخارج، ويقدم المادة السردية بثقة متناهية، ولا يكشف عن مصادرها معتمدًا على التجربة الإنسانية المكرورة؛ وهي تجربة لا تحتاج إلى تفسير أو تعليل؛ فكأنه راو محايد. ولم تشهد البنية السردية أي تدخلات من قبل الراوي ؛ مع أن موقعه يسمح بها؛ ولعل قصر السردية مما استدعى ذلك. وقد جاء موضوع الرؤية السردية متمثلًا في شخصية الأم ، وشخصية الابن، وحدث الحمل والفصال.

ويلاحظ أنه مع أن هذا الأداء السردي جاء ضمن سردية الوصية؛ فقد حدث فيه تحوُّل في موقع الراوي؛ وهذا مما يجعل الرؤية تتعدَّد؛ وهو مما يزيد من ثراء البناء السردي للنص، وينوِّع من دلالاته. كما حدث بين السرديتين لون من المزج بين الأسلوب الذاتي والموضوعي ؛ وهذا مما أسهم في تحويل الرؤية ؛ فجعلها تأتي ثنائية؛ وهي رؤية تجعل المتلقي أكثر إثارة، وأعلى توترًا. كما حدث انسحاب للراوي ؛ والتحرر من سلطة الراوي يستهدف حيازة القناعة بلون من الحرية؛ وهو مما يمكِّن المتلقي من المعايشة الفعلية والمباشرة للشخصيات والأحداث؛ خاصة وأن الأحداث مألوفة ومتكررة؛ وهي مما يعمق الوعي بأوجاع الأمومة وتضحياتها مع بنوَّتها في الحمل والفصال.

أما الوصف فيجيء بمساحة كبيرة؛ إذ تقترب من نصف مساحة الأداء السردي؛ ويمثله التركيب القرآني:" **وهنًا على وهن**"؛ فهذا التركيب يتضمن بنية الحال المرتبطة بحدث الحمل؛ وقد اعتمد على تكرار بنية الحال ، مع وجود الحرف الرابط بينهما؛ وهما يقدمان لونًا من التوصيف العميق لهوية الحال؛ والحال من أوضح الصيغ اللغوية الدالة على الوصف في السياق السردي؛ وهو هنا يقدم مشروعه الوصفي بصورة مزدوجة؛ فهو يصف حالة ممتدة من الضعف

المتراكب الذي تعانيه الأمومة؛ ومن ثم فهو يمنح حدث الحمل هوية خاصة؛ إذ يركز على أخص خصائصه المائزة له، والمهيمنة فيه؛ وهي خصائص تشي بالعناء والانكسار. كما أنه لا يخلو من تقديم حيثيات وصفية لشخصية الأم؛ فهو يبوح بتلك المعاني، ويلحقها بها. ومشروع الوصف يستهدف الكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية لشخصية الأم؛ فهو يبوح بأوجاع الأمومة من أجل بنوَّتها، ويستدعي من المتلقي إحساسًا متعاطفًا معها؛ وهو مما يؤهِّل للتأسيس للبر المرجو، والتضحية المتبادلة. كما يسهم الوصف هنا في إيقاف حركة السرد؛ وهو ما يمثل نوعًا من التوقف الرامي إلى تحقيق وعي دقيق بالحدث، ويثير حالة من الرغبة في الوعي بالمعطى السردي اللاحق؛ وهذا مما يُحدث حراكًا لافتًا في المتلقي، إذ يحقق فيه شعورًا متفاعلًا مع المكونات السردية. ومع أن هذا المستوى السردي جاء خاطفًا؛ فإنه يعلن عن نضجه الفني من خلال البوح بمجموعة من الثنائيات الضدية؛ وتتمثل في: الإرضاع والفصال - التضحية والتخلي - الصبر والجَزَع.

الخاتمة.

في الختام هذا عرض لأهم النتائج لهذه القراءة، ومن خلاله يمكن التوقف عند الإنجاز الفني والدلالي لهذا النص السردي. فلقد توقفت هذه القراءة عند نص قرآني قصير من حيث الحجم؛ لكنه مع قصره حقق إنجازات مدهشة على المستوى الفني والدلالي؛ **فمن الناحية الفنية** يمكن استخلاص هذه النتائج:

1- لقد ضم النص مستويات عديدة للسرد؛ فقد انتظمت بداخله سرديتان كبيرتان، وكل سردية تضمنت مستويين سرديين؛ وهو ما جعل النص يضم أربعة مستويات سردية؛ وهو محصول سردي شديد الكثافة. وقد تم توليد هذه السرود بتقنية القطع الحكائي، وقد تم الربط بينها بكفاءة عالية؛ إذ تعانقت بصورة عنقودية؛ فبرزت السرود على هيئة دوائر متداخلة، لها منطق يصعب تجاوزه، وفوق ذلك تمكَّن ترابطها من بث دلالات بالغة الخصوبة. ويلاحظ أن هذه المستويات السردية تتشكل بأداءات فنية فيها كثير من التشابه، مع وجود اختلافات تَبْرُز بصورة أقل؛ ولكل منها دلالاته الخاصة؛ وهو ما سيتضح من خلال بقية النتائج.

2- ويلاحظ أن فضاء السرد في هذه المستويات يتم إغفاله بشكل لافت؛ ولا يستثنى سوى سردية الحمل والفصال؛ إذ تلتفت إلى زمن الحدث. وهذا الإغفال يمثل لونًا من الأداء السردي الذي يقوم بإنتاج قيمة واحدة؛ وهي تكمن في الإيحاء بأن مضامين السرد هنا تمثل قيما عامة ومجردة؛ تصلح للإنسان في كل الأزمنة والأمكنة؛ والاستثناء في تزمين حدث الفصال جاء لتقديم دلالة خاصة يحتاجها السياق، وزادت من الثراء الدلالي للنص.

3- ويلاحظ أن هذه السرود تعرض لأحداث تتسم بالقلة؛ إذ لا تزيد الأحداث فيها عن حدثين، ولا تخلو هذه الأحداث من التجانس؛ فسردية لقمان تحكي حدث الوعظ، وسردية الوصية تحكي حدث الوصية؛ وكلاهما يتعلق بممارسة البوح الناصح، وإنتاج القول الإرشادي؛ وهو قول له خصائص نوعية فارقة. وغالبًا تجيء الأحداث بصيغة الماضي، وبرز بعضها بصيغة المضارع، والبعض الآخر تشكَّل بصورة ضمنية؛ إذ جاء من خلال البنية الاسمية المتمثلة في بنية الفصال؛ وهي بنية محملة بدلالة الفعل؛ وهذا تنوُّع فاعل في الصيغ التعبيرية عن الأحداث. كما أن هذه الأحداث تجيء مترابطة بروابط منطقية تعمقها الخصائص الواقعية للأحداث من حيث التلاحق. وأومأت بنية الفصال إلى حدث ضمني؛ وهو حدث

الإرضاع؛ وهو حدث يقتضيه منطق الفصال.

4- ويلاحظ أن الشخصيات تجيء متفقة من حيث العدد؛ فهي ثنائية؛ فكل سردية تضم شخصيتين. وفي الغالب تجيء بدون تسميات؛ فلها صبغة عموم تؤكد هوية المشروع الدلالي للنص القرآني، وتستهدف بناء نموذج، أو ما هو أعلى منه من حيث الشيوع والقيمة؛ فشخصياتها هي: الابن والإنسان والأم. وجاءت بعض الشخصيات ناطقة، وجاء البعض الآخر متقبلًا للأحداث؛ ومن ثم تأرجحت من حيث كونها شخصيات محورية ورئيسية؛ ويستثنى من ذلك شخصيات سردية الحمل والفصال؛ إذ جاءت كلها صامتة؛ فلم يتحدث سوى صوت الراوي الداخلي المشارك؛ وهذا الشذوذ أدى إلى دلالات خاصة، وأسس لاختفاء تقنية الحوار في هذه السردية. وبرز لهذه الشخصيات وجود متكامل من حيث القول والممارسة؛ وهو مما يوحي بأن القول قد يكون نوعًا من الفخاخ؛ ومن ثم فهذه الوضعية للشخصيات تشي بضرورة التوازن بين القول والممارسة مع اليقين بأن الممارسة هي ذات القيمة الأعلى.

5- ويلاحظ أن بنية السرد تتشابه في المستويات الثلاثة من عدة وجوه؛ منها أنها تلتفت إلى الماضي؛ هو ما يحقق لونًا من الارتداد، ويبوح بهاجس البعد التاريخي؛ وهو بعد يستحوذ على الذائقة الإنسانية عمومًا. ومنها أن زمنية السرد فيها زمنية بنيوية؛ تتمرد بقوة على زمنية القالب الصرفي للبنية اللغوية. كما تتشابه هذه السرود من حيث الأدوات الافتتاحية، وتَحقُّق سمة الاقتضاب والسرعة، وبروز وظيفة آيديولوجية لها، وفيها تحولات في موقع الراوي؛ فهو مرة راو خارجي غير مشارك، ومرة راو داخلي مشارك، ومعها تتحقق خصائص مختلفة للرؤية، وتباين في موضوعها. وتتقارب في أسلوب السرد، وتتفق جميعًا في استهداف متلق غير مباشر.

6- ويلاحظ أن هذه المستويات السردية تتفق في تقنية الوصف؛ وذلك في مجيئه بلون من السرعة والاقتضاب. وهو يخلو من التراكيب الصريحة في التعبير عنه، باستثناء المستوى السردي الخاص بالحمل والفصال؛ فقد تضمن بنية الحال؛ وهي من أهم البنى اللغوية المعبِّرة بوضوح عن الوصف. أما بقية المستويات؛ فإنها تعتمد على مكونات لغوية أخرى للوصف؛ فهي تشي به ضمنيًّا من خلال بنية الأفعال، والأسماء الساكنة؛ وهو مما يشكِّل صورة سردية متحركة. كما توظف الجمل التعقيبية والتفسيرية؛ لتقوم بوظيفة الوصف في النظام السردي؛ إذ تمارس عملية إيقاف لسرعة السرد، وتحقق أهداف الوصف من خلال ذلك الإيقاف.

7- ويلاحظ أن تقنية الحوار تبرز في مستويين سرديين؛ وهما سردية لقمان، وسردية الوصية، وتغيب في سردية الحمل والفصال؛ وقد كان ذلك التغييب مقصودًا؛ فقد جُعلت شخصيات السردية صامتة؛ وهو مما حتَّم اختفاء الحوار؛ وهذا الغياب له دلالاته الخاصة؛ فهو مما يمنح الأخيرة لونًا من الفرادة، ويقدم هذه السرود بلون من التمايز، ويسهم في تحديد هوية السلوك الديني المطلوب؛ إذ يشي بأن البر ممارسة أكثر منه تفوُّهات. وفي المستويين السابقين يجيء الحوار بملامح مشتركة؛ وهي كثيرة للغاية؛ ومن أهمها موقع الحوار ومساحته، وعناصره ووظائفه، ولغته وأسلوبه، وموضوعه ومجاله؛ وهذه الوفرة من السمات المشتركة توحي بمدى التجانس بين السرديتين، ومدى التكامل بينهما؛ وهو مما يمنح تقنية القطع الحكائي مسوغات موضوعية وفنية، كما يشي بمدى التقارب بين المشروع التوجيهي الذي مارسه لقمان، وبين توجيهات الله للإنسان؛ وهذا مما يكشف عن سبب

اصطفاء الله للقمان، واستهدافه بالمنح الحكيم، ثم اختياره ليعرضه النص القرآني نموذجًا تحتذيه الإنسانية كلها؛ على مر الزمان، وتعدُّد المكان.

8- وقد تجلَّى في هذه الأداءات السردية الكثير من الظواهر الفنية التي يستوجبها الجهاز النظري لعلم السرد؛ فجاء كل مستوى مستوفيًا لكثير من المكونات السردية المفترضة، وقد وظفت هذه المكونات بصورة بالغة الدقة؛ وهذا مؤشر الثراء الفني، والخصوبة الدلالية. وقد حاولت هذه القراءة أن ترصد الوظائف البنيوية، والأبعاد الفنية لكثير من المكونات السردية، كما حاولت الاقتراب من التقنيات الفنية الغائبة؛ وعلى الأخص تلك التي يعدها علم السرد من المكونات الضرورية؛ مثل فضاء السرد الذي يتضمن الزمان والمكان، والمشاهد الحوارية، والتشكيلات الواضحة للمقاطع الوصفية. وقد بدا أن غياب بعض المكونات السردية لم يُخِل بالبناء السردي، ولم يفتقر إلى الإيحاء بشيء من الدلالات؛ وهو مما جعل الغياب يسهم في إنتاج دلالات حاضرة، ولها قيمة فاعلة في النص؛ وهو مما أملى ضرورة رصد الأبعاد الفنية الناجمة عن تلك التقنيات الغائبة.

9- وقد تشكلت بين هذه المستويات السردية مجموعة من الملامح المشتركة؛ وهذا التقارب أدى إلى تقديم محاصيل دلالية ذات هوية خاصة، ومنحها لونًا من القوة، وأوحى بمدى أهميتها وقيمتها. كما تجلت جملة من الاختلافات بين هذه السرود؛ ولعل قيمة هذا الاختلاف تكمن في أنه منح هذه المستويات السردية ألوانًا من الخصوصية؛ فأسهم في تشكيل أداءات فنية مائزة، وأدى إلى إنتاج محاصيل دلالية ذات سمات فريدة. كما منح هذه السرود ضروبا من التكامل. وقد أسهمت المكونات السردية في هذه السرود في تشكيل ملامح فنية بالغة الثراء والخصوبة، كما أسهمت في إنتاج دلالات شديدة الوفرة، بالغة القيمة.

10- يقرر علم السرد أن الخطاب الحكائي لا بد أن يستوفي الصيغ الأساسية؛ أو الصيغ الكبرى المتمثلة في السرد والعرض، وأن يَحْدث بينها ألوان من التقاطع؛ فيتم التداخل بينها بنوع من التناوب داخل السرد. وقد تحققت هذه الصيغ بقوة في قصة لقمان؛ ففي سردية لقمان يتحقق السرد، والمشهد الحواري، ومثلها سردية الوصية. وفي حالة النظر إلى هذه الصيغ في كل سردية على حدة؛ يتجلى أنها تجاورت عن طريق التعاقب؛ لا التقاطع؛ فتجيء صيغة السرد أولًا، ثم تأتي صيغة العرض بعدها. وحين يتم النظر إلى قصة لقمان كاملة؛ فإن هذه الصيغ تتجاور عن طريق التعاقب والتقاطع؛ أي التناوب؛ بهذه الصورة:

يسرد + يسرد + يعرض + يسرد + يسرد + يعرض + يعرض.

وقد حدث نوع من التوازي في سرعة السرد، وامتداد مساحة العرض؛ عدا المستوى السردي الخاص بالحمل والفطام؛ إذ لم يتضمن تقنية العرض؛ فجاء خاليًا من تكنيك الحوار.

11- تحقق في كل المستويات السردية لون من الإحالة على ماض مفتوح، ويتسم بالغموض؛ وهو أداء فني يتعزز وجوده من تجاهل النص لزمن الحكاية؛ والوظيفة البنيوية لهذا الأداء تكمن في الإيماء إلى أن الزمن هنا قليل القيمة؛ وأن الأهمية الحقيقية هنا كامنة في الأحداث؛ وهذا استهداف لتجريد المضامين السردية من التأطير الزمني والتاريخي؛ لتصبح قيمًا مجرَّدة صالحة لكل زمان ومكان.

12- برزت في النص خصوصية للأداء السردي القرآني؛ وقد أوقعت في الكثير من الحرج؛ وذلك فيما يتعلق بموقع الراوي، وتصنيف الرؤية؛ إذ إن تعامل السرد القرآني معها جاء بأداء يختلف نوعًا ما عن

الحيثيات التي يفترضها الجهاز النظري لعلم السرد الحديث. وقد حاولت هذه القراءة أن تصالح بين النص والمنهج، مع الانحياز للتصوُّر الإيماني الخاص بصفات الله، والحفاظ على المشروع الفني والدلالي للنص.

13- استهدف الأداء السردي في كل مستوياته عددًا من الثنائيات المعبرة عن الاكتمال والنضج في العمل السردي؛ وقد برزت أربع ثنائيات مشتركة بين أكثر من مستوى سردي؛ وهي: الشرك والتوحيد، النصح والإهمال، الشكر والنكران، البر والعقوق.

14- **ومن الناحية الدلالية** فقد مثلت كل المستويات السردية حقولًا خصيبة من المعاني الفريدة، والإيحاءات البالغة الثراء. وقد جاءت تلك الدلالات بمستويات متباينة؛ فبعضها يعلن عن نفسه بلون من الصراحة والوضوح؛ مثل البوح بحقوق الله الماثلة في إخلاص التوحيد، والشكر له، والإيمان بقدرته المطلقة على كل شيء، وحتمية الرجوع إليه في الآخرة، والالتزام بالواجب الديني الذي تتقدَّمه الصلاة، والتوجيه بالخير. ومنها الإعلان عن حقوق الآخرين المتمثلة في حقوق الأبوَّة، وحقوق الناس في النصح، والصبر عليهم، والتواضع معهم. ومنها الإشارة إلى حقوق الذات؛ مثل النفع العائد عن الشكر لله، والتجرُّد من طاعة الأبوَّة الداعية إلى الشرك. والمنافع العامة المحصودة من السلوك الديني؛ وهي تتوزع على الإنسان في الدنيا والآخرة. وهناك دلالات يوحي بها الأداء السردي إيحاء؛ ومن ذلك قوة السخاء الإلهي مع الصالحين، وروعة عطاء الله لهم. ومنها تقديم لقمان بوصفه نموذجًا يحتذى في الأبوَّة المثالية، ومنها التعريض المر بأبوَّة المشرك المكي، والمتعصِّب لأسرته أينما كان، ومنها الإيحاء بالواجبات المتبادلة بين الأبوَّة والبنوَّة، والإيماء إلى جملة من المبادئ الأسرية؛ وهي مبادئ مهمة في الحياة العامة، والحياة السياسية؛ مثل مبدأ الحرية والأمانة والحوار.

الهوامش:

(1) وصف برنس اقتصار جنيت على بنية الخطاب بأنها رؤية ضيقة، انظر: جيرالد برنس المصطلح السردي، ص 157.

(2) فقد فصل باختين بين البنيتين في كتابه: الماركسية وفلسفة اللغة، وفعل مثله الصادق قسومة في كتابه: علم السرد: المحتوى والخطاب والدلالة، ومثلهما: يمنى العيد في كتابها: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي.

(3) انظر: سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 21.

(4) عن ثنائية السرد والعرض؛ انظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ص 179.

(5) انظر: جيرالد برنس، المصطلح السردي، ص 184.

(6) انظر: سورة الأنعام، الآية رقم: 151، وسورة الإسراء، الآية رقم: 23.

(7) للسرد أزمنة خارجية، وأزمنة داخلية أو تخييلية ؛ انظر: – سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 37 – 38. – محمد عزام، فضاء النص الروائي، ص 123 – 125.

(8) الزمن هنا هو الزمن الخارجي؛ وهو في ذلك كزمن الوقائع في الغالب؛ أما الزمن الداخلي؛ وهو زمن السرد؛ فيأتي في بنية الخطاب، وفي عمق النسيج السردي، ويرتبط بالأحداث، ووضع الراوي، وترتبط به مفاهيم سردية عديدة؛ انظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ص 45– 54.

(9) انظر: محمد عبدالرحمن الشايع، المكي والمدني في القرآن الكريم، ص 41 وما بعدها.

(10) يلاحظ أن النص القرآني يستدعي نشاطات علمية كثيرة؛ لتسهم في تعزيز الوعي بدلالاته؛ فهو من أهم النصوص التي تحتاج مقارباتها إلى المستندات المرافقة حتى يتم الإلمام بمشروعه الدلالي والفني؛ وتتمثل هذه المستندات في المستند المعجمي، والتفسيري، والتاريخي، والبلاغي، وربما استدعى الأمر مستندات أخرى؛ كالمستند الفلسفي والنفسي والعلمي؛ وذلك بحسب حاجة النص، واشتراطاته للبوح.

(11) انظر: علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ1، ص57.

(12) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، جـ3، ص6.

(13) الصادق قسومة، علم السرد: المحتوى والخطاب والدلالة، ص 96.

(14) سورة المؤمنون، الآية رقم "68".

(15) سورة القصص، الآية رقم: 36.

(16) سورة النمل، الآية رقم: 67.

(17) سورة الصافات، الآيتان رقم: 16، 17.

(18) سورة الواقعة، الآيتان رقم: 47، 48.

(19) سورة الدخان، الآية رقم: 36.

(20) سورة الجاثية، الآية رقم: 25.

(21) سورة البقرة، الآية رقم: 170.

(22) سورة المائدة، الآية رقم: 104.

(23) سورة سبأ، رقمها الآية رقم: 43.

(24) سورة الزخرف، الآية رقم: 22.

(25) سورة الزخرف، الآية رقم: 23.

(26) سورة الأعراف، الآية رقم: 70.

(27) سورة يونس، الآية رقم: 78.

(28) سورة هود، الآية رقم: 62.

(29) سورة هود، الآية رقم: 87.

(30) سورة إبراهيم، الآية رقم: 10.

(31) سورة الشعراء، الآية رقم: 74.

(32) سورة الأنبياء، الآية رقم: 53.

(33) سورة الدخان، الآية رقم: 8.

(34) سورة الشعراء، الآية رقم: 26.

(35) سورة الأنبياء، الآية رقم: 54.

(36) سورة الصافات، الآيتان رقم: 69، 70.

(37) سورة النجم، جزء من الآية رقم: 23.

(38) سورة لقمان، الآية رقم: 21.

(39) سورة لقمان، جزء من الآية رقم: 33.

(40) انظر: ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ص 63.

(41) انظر هذه الآراء كلها: ابن كثير، البداية والنهاية، جـ3، ص 6.

(42) انظر: ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم، ص78.

(43) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، جـ3، ص21.

(44) تحدث كثير من المؤرخين والمفسرين عن شخصية لقمان؛ فقد ذكروا زمانه وموطنه، وذكروا اسمه واسم ولده، وذكروا بعض أقاربه، وتحدثوا عن صفاته الجسمية، وعن شيء من تفاصيل حياته، وتناولوا سماته الدينية والثقافية، وأوردوا كثيرًا من حكمه، وفرقوا بينه وبين لقمان عاد صاحب النسور. انظر في ذلك كله: – الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، جـ1، ص228 – 229. – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ11، ص49 – 52.

(45) انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص866. وهذا يشي بأن اسم العلم ليس محرومًا من المعنى؛ كما ذهب فيليب هامون؛ إذ جعله من قبيل البياض الدلالي. انظر: فيليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، ص 61.

(46) انظر: فيليب هامون، سميولوجية الشخصية الروائية، ص 36.

(47) انظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، ص 89.

(48) انظر: محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي: نظرية قريماس، ص 58 – 59.

(49) استدعى ابن عثيمين رأيًا قدمه تفسير الجلالين؛ إذ عقَّب المفسران هناك على قول لقمان لولده:" لا تشرك بالله"؛ فقالا: فرجع إليه وأسلم، وناقش ابن عثيمين هذا القول، وانتهى إلى أن قول لقمان لا يستلزم بالضرورة أن يكون ولده كافرًا؛ فالعبارة تقال حتى للمسلم من باب التنبيه، والتحذير من الوقوع في الشرك. انظر تفاصيل ذلك: ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم، ص80.

(50) انظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص85.

(51) انظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، ص 153.

(52) ومع ذلك يتضمن السرد ما يشبه تقنية الاسترجاع والاستباق؛ فاستدعاء النص لوقائع تاريخية فائتة يمثل تقنية فنية قائمة على فلسفة الاسترجاع، كما أن تقنية القطع الحكائي أسهمت في إحداث ألوان من الاستئناف المتكرر لعملية السرد؛ وهو يماثل حالات الاسترجاع من الناحية الإجرائية. كما يتضمن النص ما يماثل تقنية الاستباق؛ ومن ذلك بعض التراكيب المتحدثة عما سيحدث بالفعل؛ مثل:" يأت بها الله" ومنها في سردية الوصية:" إليَّ المصير" و" إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون"؛ لكنها نماذج جاءت خارج إطار السرد؛ فقد برزت في جمل تعقيبية؛ هي في الأساس من تدخُّلات الراوي؛ وهي تظل صيغًا خارجية؛ لكنها تمثل تقنيات فنية تسهم في الإيحاء بأن النص يوازن بين التفاتاته بين الفائت والقادم؛ وهو مما يشي بتعدُّد آفاق النص، وتنوُّع رؤاه ولفتاته.

(53) عن طرق تحديد الرؤية السردية؛ انظر: بوريس أوسبنسكي، شعرية التأليف: بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي، ص 19 وما بعدها.

(54) سورة طه، الآية رقم: 17.

(55) سورة المائدة، جزء من الآية رقم: 116.

(56) عن بروز صوت المؤلف، ووظائف التعليق؛ انظر: وين بوث، بلاغة الفن القصصي، ص 180، وما بعدها

(57) انظر: حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص 47.

(58) انظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص370.

(59) انظر: ميخائيل باختين، قضايا الفن الإبداعي عند دوستويفسكي، ص 10، وما بعدها

(60) لا يخلو النص من الالتفات إلى بعض المفردات المكانية؛ وهو في ذلك يقدم من خلالها جملة من الأوصاف الضمنية؛ ففي الصخرة يتم استهداف ملامح الضيق والصلادة، وفي السموات يتم استدعاء سمة الاتساع كأوسع ما يكون، بالإضافة إلى التعدد والعلو الكبير. وفي الأرض تستهدف صفات الاتساع والعمق المعبِّر عن الانخفاض؛ وهذه الإشارات الضمنية في الوصف سمة حداثية في السرد؛ وهي تقوم بوظيفة البوح بقدرة الله المطلقة. لكن يلاحظ أن هذا الأداء جاء مختلفًا؛ ويصعب معه وصف المكان بأنه المكان السردي؛ لأنه برز من خلال تقنية الحوار، ويحقق وظائف دلالية وفنية. والوصف في الغالب يجيء في عمق الأداء السردي، وعلى لسان الراوي، ويحقق وظائف بنيوية، ولعل هذا الأداء يعلن عن بعض الملامح التي يتفرد بها النص القرآني في سروده.

(61) انظر في ذلك: – سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 158. – آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص154.

(62) انظر في ذلك: عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، ص 49، ص 79.

(63) للإلمام بالمنطلقات السردية لدراسة الحوار؛ انظر مثلًا: الصادق قسومة، علم السرد: المحتوى والخطاب والدلالة، ص383 وما بعدها.

(64) انظر في ذلك: فاتح عبد السلام، الحوار القصصي: تقنياته وعلاقاته السردية، ص 47 – 54.

(65) جاء ذلك في سورة مريم، الآيات: 42– 48.

(66) سورة البقرة، جزء من الآية رقم: 269.

(67) انظر: سورة القصص، الآية رقم: 20.

(68) انظر: سورة يس، الآيات: 20– 25.

(69) وذلك في سورة هود، الآيتان رقم: 42، 43.

(70) وذلك في سورة مريم، الآيات: 42– 48.

(71) انظر: جيرالد برنس، المصطلح السردي، ص 114.

(72) انظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، ص 75، ص 90.

(73) عن مفهوم هذه السرود؛ انظر: جيرالد برنس، المصطلح السردي، ص 72، ص 91.

(74) انظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص187، وما بعدها.

(75) انظر: تودوروف، مقولات السرد الأدبي، ص 69.

(76) مع وجود ما يشبه الاسترجاع؛ وهو الماثل في بنية الماضي. أما ما يشبه الاستباق فإن البنية التي تحيل على ما سيحدث بالفعل في المستقبل تبرز بصورة لافتة؛ ومن ذلك:" إليَّ المصير" ومنه:" ثم إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون"؛ لكنها تجيء ضمن تعقيبات تمثل صيغًا خارجية ؛ لا تنتمي إلى النسيج السردي.

المصادر والمراجع:

1– القرآن الكريم.

2– آمنة يوسف:

▪ تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2015م.

3– إسماعيل بن عمر بن كثير:

▪ البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1997م.

▪ تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السيد وآخرين، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط1، 2000م.

4 – بوريس أوسبنسكي:

▪ شعرية التأليف: بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998م.

5 – تزفيتان تودوروف:

▪ مقولات السرد الأدبي، ضمن كتاب:" طرائق تحليل السرد الأدبي"، مجموعة باحثين، منشورات اتحاد كتَّاب المغرب، المغرب، ط1، 1992م.

6 – جيرار جنيت:

▪ خطاب الحكاية: بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 1997م.

7 – جيرالد برنس:

▪ المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م.

8 – حميد لحمداني:
▪ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.
9 – سعيد يقطين:
▪ تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 1997م.
10 – سعيد علوش:
▪ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م.
11 – سيد قطب:
▪ التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط13، 1993م.
12 – سيزا قاسم:
▪ بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004م.
13 – الصادق بن الناعس قسومة:
▪ علم السرد: المحتوى والخطاب والدلالة، إصدارات جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2009م.
14 – عبد اللطيف محفوظ:
▪ وظيفة الوصف في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009م.
15– عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي:
▪ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط1، 1994م.
16 – عبد الملك مرتاض:
▪ في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998م.
17 – علي بن الحسين بن علي المسعودي:
▪ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط5، 1973م.
18 – فاتح عبد السلام:
▪ الحوار القصصي: تقنياته وعلاقاته السردية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999م.
19 – فيليب هامون:
▪ سميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الحوار، سوريا، ط1، 2013م.
20 – محمد بن صالح العثيمين:
▪ تفسير القرآن الكريم، مؤسسة ابن العثيمين الخيرية، (139)، ط1، 1436هـ.
21 – محمد عبد الرحمن الشايع:
▪ المكي والمدني في القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط1، 1997م.
22– محمد عزام:
▪ فضاء النص السردي: مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار، سوريا، ط1، 1996م.
23 – محمد الناصر العجيمي:
▪ في الخطاب السردي: نظرية قريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1991م.
24 – محمد بن يعقوب الفيروزآبادي:
▪ القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1998م.
25 – ميخائيل باختين:
▪ الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1987م.
▪ قضايا الفن الإبداعي عند دوستويفسكي، تر: جميل التكريتي، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م.
26 – وين بوث:
▪ بلاغة الفن القصصي، ترجمة: أحمد خليل وعلي الغامدي، مطابع جامعة الملك سعود، السعودية، 1994م.

Narration in Surat Lugman
A Study on the Narrative Structure of the Quranic Text

Mohammad Saleh Naji Abduh

Abstract

This study deals with the story of Luqman as narrated in the Quranic text. It aims to discover the narrative components within that story and to analyze these components in all the narrative levels upon which the story is based. It attempts showing the structural and artistic functions of these levels as well as their semantic contents and connotations. The analysis is based on the structural approach and the modern narrative disciplines.

Key words: The Quran , Luqman , Narrative , Structural.
Important structures: Quranic text , narrative of Luqman , Structural approach , narrative disciplines.